الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

آداب المريض مع نفسه

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشيخ ندا
أبو أحمد

الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

آداب المريض مع نفسه

الشيخ ندا أبو أحمد

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

مقدمة:

المرض منحة من الله تعالى.

المرض علامة على محبة الله للعبد.

آداب المريض مع نفسه:

الأدب الأول: أن يرقي نفسه.

الأدب الثاني: المبادرة بكتابة الوصية.

الأدب الثالث: عدم الإضرار في الوصية.

الأدب الرابع: الإنـابـة (وهي الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه).

الأدب الخامس: التحلل من المظالم أو من له حق عليه.

الأدب السادس: أن يستأذن أزواجه أن يمرَّض في بيت إحداهن إذا كان متزوجًا من أكثر من امرأة.

الأدب السابع: أن يفضي بسرٍّ من أسراره إلى من يحب.

الأدب الثامن: لا تُحمِّل أهلك وإخوانك وأحبابك مالا يطيقون.

الأدب التاسع: لا يكشف عورته من غير ضرورة.

الأدب العاشر: يجوز له التوجع وذكر الوجع للغير، بخلاف الشكوى فإنها لا تكون إلا لله وحده.

الأدب الحادي عشر: الصبر على المرض، فإن ذلك عبودية الضراء.

الأدب الثاني عشر: عدم الجزع والتسخط وسب المرض.

الأدب الثالث عشر: الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى:

الأدب الرابع عشر: عدم الاستعانة بالكهان والعرافين والسحرة لرفع البلاء.

الأدب الخامس عشر: لا يطلب من أحد أن يرقيه.

الأدب السادس عشر: لا يدعو على نفسه بالمعاقبة في الدنيا.

الأدب السابع عشر: لا يتمنى الموت، أو يدعُ به.

الأدب الثامن عشر: أن يحسن الظن بالله تعالى.

الأدب التاسع عشر: إياك واليأس والقنوط من رحمة الله.

الأدب العشرون: لا يشكو اللهَ إلى خلقه، فيشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم.

الأدب الحادي والعشرون: لا يتحسر ويبأس على ما فاته من حظوظ الدنيا أثناء المرض.

الأدب الثاني والعشرون: عليك بالتضرع إلى الله عز وجل.

الأدب الثالث العشرون: احرص على وقتك، واملأه بطاعة الله ولا تقطعه بالمعاصي.

الأدب الرابع والعشرون: عليك بقيام الليل بقدر استطاعتك.

الأدب الخامس والعشرون: عليك بالإكثار من الصدقة.

نصائح وتوجيهات لمن تصدق وأراد أن يرى ثمرة الصدقة وأثرها لدفع البلاء:

الأدب السادس والعشرون: عليك بكثرة الذكر.

الأدب السابع والعشرون: أكثر من الدعـاء.

الأدب الثامن والعشرون: الأن يأخذ بأسباب الصبر على المرض ومنها:

أ– العلم بأن المرض مقدّر من عند الله تعالى.

ب– أن يعلم المريض أن مرضه قد يكون أعظم من هذا فليحمله هذا على الحمد والرضا.

ج – أن يعلم المريض أن هذا البلاء (المرض) ما نزل إلا بذنب وقع فيه ولم يتب منه.

د– أن يـذكر المـريض ابـتلاء مـن كـان مـن أهـل الفضـل والصـلاح ويتسـلى بسـيرتهم العطـرة، وصبرهم على المرض وكيف كانت عاقبتهم.

هـ – ومن أسباب الصبر على المرض: معرفة فضل وفوائد المرض، ومنها:

أولًا: تكفير للسيئات.

ثانيًا: ومن فوائد المرض: شهود الجزاء.

ثالثًا: ومن فوائد المرض: رفع الدرجـات.

رابعًا: ومن فوائد المرض: الفوز بالجنة.

الأدب الأخير: معرفة قدر العافية.

مقدمة:

أخي المريض... شفاك الله وعفاك، وأبرأك من كل سقم وداواك، وقربك بمرضك إليه وأدناك، وأخرجك من مرضك ولا سيئة عليك وحيَّاك، وجعل أعالي الفردوس مأواك، ووجهه يوم المزيد أراك. وأرجو من الله تعالى أن تكون هذه الكلمات بلسمًا شافيًا، وعونًا مداويًا.

- **أخي المريض**... أعلم أن هذا المرض علامة على محبة الله لك.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ...". (صَحِيح الْجَامِع: 285)

وأخرجه الإمام أحمد والترمذي أيضًا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ، مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ...".الحديث (صحيح الجامع: 2110) (الصحيحة: 146).

وانظر أيها المريض إلى قوله: "إذا أحب" فليس الشأن أن تحب الله إنما الشأن أن يحبك الله، وأهل البلاء هم أهل محبته. **وفي الحديث:" والله، لا يُلقي اللهُ حبيبه في النار".**

(رواه الحاكم من حديث أنس ﷺ وهو في صحيح الجامع: 7095).

- **وكلما ازدادت المحبة ازداد البلاء حتى يُزاد في الجزاء والأجر.**

ولذلك تجد أن أشد الناس ابتلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل؛ لأنهم أحب الخلق إلى الله تعالى.

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه–رضي الله عنهما– قال:" قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسَبِ دينِه، فإنَّ كان في دينِه صُلْبًا، اشْتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينِه رقةٌ ابْتُليَ على قدْرِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ ". (صحيح الجامع:992) (صحيح الترغيب والترهيب:3402)

ودليل هذا أنك تجد النبي ﷺ وهو أحب الخلق إلى الحق– سبحانه وتعالى– ومع ذلك يشتد عليه الوجع في مرضه.

تقول عائشة –رضي الله عنها–:" ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ ". (رواه البخاري ومسلم)

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال:" دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك[1]، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك تُوعَك وعكًا شديدًا!! فقال رسول الله ﷺ:" أجل، إني أوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم " قال: فقلت: ذلك بأنَّ لك أجرين؟، فقال رسول الله ﷺ: " أجل، وما من مسلم يصيبه أذى من مرضٍ فما سواه إلا حَطَّ الله به سيئاته كما تَحُطُّ[2] الشجرةُ ورقها ".

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: دخلتُ على النَّبيّ ﷺ وهو يُوعَكُ، فوضَعْتُ يدي عليه فوجدْتُ حَرَّهُ بين يَدَيَّ فوقَ اللِّحافِ، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما أشَدَّها عليك! قال:" إنَّا كذلك يُضعَّفُ لنا البلاءُ ويُضَعَّفُ لنا الأجرُ". قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أشَدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ. قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ الصَّالحونَ، إن كان أحَدُهم ليُبتَلى بالفَقرِ حتى ما يجِدُ أحَدُهم إلَّا العباءةَ يَحويها[3]، وإن كان أحَدُهم لَيفرَحُ بالبَلاءِ كما يَفرَحُ أحَدُكم بالرَّخاءِ!". (صحيح ابن ماجه: 3250)

وصدق النبي ﷺ حيث قال كما مر بنا: " وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ".

(أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس ﷺ، وهو في صحيح الجامع:2110)

ولهذا كان الحسن البصري–رحمه الله– يقول:" كان الرجل منهم أو من المسلمين إذا مر به عام لم يُصَب في نفسه ولا ماله قال: ما لنا أتَوَدَّعَ الله منا؟ ".

يعني أنهم كانوا يعلمون أن الابتلاء محبة من الله لعبده، فحين يتأخر البلاء يعدون هذه عقوبة، وعدم إرادة الخير بهم.

فيأيها المريض... أعلم إن مرضك فضل من الله؛ ونعمة منه عليك، ودليل على محبته لك.

فمن علامة محبة الله تعالى للمريض أنه يكتب له في مرضه ما كان يعمل صحيحًا.

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق:25)

---

1. الوعك: هو الحُمَّى، وقيل: ألم الحمى.

2. تحط: تلقيه منثرًا. (شرح مسلم للنووي: 363/16).

3. يُحَوِّيها: أي يجمعها (لسان العرب: 208/14)، وجاءت في بعض الروايات بلفظ: "يحوبُها": أي يقطع وسطها ليلبسها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي غير مقطوع بل متواصل، فالعبد المؤمن إذا مرض وحيل بينه وبين العمل الصالح فإن الله تعالى يجري عليه ما كان يعمل صحيحًا.

- فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إذا مَرِضَ العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا ".

- وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:" ما مِن أحدٍ من الناس يُصابُ ببلاء في جسده، إلاَّ أمر اللهُ- تعالى- الملائكة الذين يحفظونه فقال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3421)

- وفي رواية:" إن العبد إذا كان على طريقةٍ حسنةٍ من العبادة ثم مَرِضَ، قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا حتى أُطْلَقهُ أو أكْفِتَهُ إليَّ[1] ".

زار الإمام أحمد أحد تلاميذه وهو مريض فصبَّره بقوله:" إن لك أجرك وأنت سليم غير مريض، وأجرك وأنت مريض غير سليم ".

أي أنه يجرى عليه ما كان يناله من أجر في صحته بالإضافة إلى أجر المرض.

ومن محبة الله لك أن جعل هذا المرض تكفيرًا لك من الذنوب:

فقد أخرج الحاكم عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته: أنا قيدتُ عبدي بقيد من قيودي، فإن أقبضه أغفر له، وإن أُعافه فحينئذ يقعد ولا ذنب له (صحيح الجامع:1673)

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا ابتلى الله ﷻ العبد المسلمَ ببلاء في جسده، قال الله ﷻ لِلْمَلك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، فإن شفاه غَسَّلَهُ[2] وطَهَّره[3] وإنْ قبضه غَفَر له ورحمه ". (صحيح الجامع: 258)

---

1. أكْفِتَهُ إلي: بكاف ثم فاء ثم تاء مثناة فوق، ومعناه: أي أضمه إليَّ وأقبضه، أي: أُمِيتَه.

2- غسّله: بالتشديد ويخفف، أي: نظّفه. (قاله القاري)

3. طهَّره: من الذنوب لأن المرض كفّرها.

أخي الحبيب... احرص على الطاعات وداوم عليها، فإن فعلت فأنت أحد ثلاث: إما أن تموت فيختم لك بعمل صالح، وإما أن تصاب بمرض فيجري عليك من الأعمال الصالحة ما كنت تعمل صحيحًا، وإما أن يعافيك الله ويمتعك بالصحة فأنت على خير كذلك؛ لأنك تزداد قربًا من الله بكثرة الطاعات.

- **ومما يدل كذلك على محبة الله لك أيها المريض وإرادة الخير بك أنه يجازيك بأعمالك في الدنيا قبل الآخرة فتلقى الله سالمًا طاهرًا منها.**

فنحن بشر ومن طبيعة البشر الوقوع في الذنب وهذا لا يسلم منه أحد إلا الأنبياء فهم معصومون.

فقد أخرج ابن ماجه والترمذي بسند حسن عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:"كل ابن آدَمَ خطاءٌ وخيرُ الخطائينَ التوَّابُونَ ".

وصدق القائل حيث قال:

من ذا الذي ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

الجواب: لا أحد.

فمن أراد الله به خيرًا ابتلاه في جسده، أو ماله، أو ولده، أو في أهله؛ حتى يطهره من الذنوب فيوافيه يوم القيامة ولا ذنب له، وهذا هو عين الخير.

فقد أخرج الترمذي والحاكم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يُوافِي به يوم القيامة ". (صحيح الجامع: 308) (الصحيحة:1220)

قال الطيبي -رحمه الله- كما في" شرح المشكاة: 310/3 ": قوله:" **أمسك عنه بذنبه** " أي: أمسكه عنه لما يستحقه بسبب ذنبه من العقوبة، والمعنى: لا يجازيه بذنبه حتى يجيء في الآخرة متوفر الذنوب وافيها، فيستوفى حقه من العقاب. فمن أمسك الله عنه مواد التطهير فلم يصب في جسده فهو على خطر.

ولذلك رد النبي ﷺ امرأة ولم يتزوجها لأنها لم تمرض.

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أنس ﷺ:" أن امرأةً أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: ابنةٌ لي كذا وكذا، فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها، فقال: قد قبلتها فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تُصْدَعْ، ولم تشتكِ شيئًا قط، فقال: لا حاجة لي في ابنتك ".

ولعل النبي ﷺ رد هذه المرأة لأنه ﷺ هو القائل: **"إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم"** فالابتلاء علامة على محبة الله للعبد، أو لعل النبي ﷺ لما علم أنها لم تمرض ولم تشتكِ أدرك أن في دينها رقةً وأنها ليست كفئًا. **فهو القائل ﷺ كما عند أحمد والترمذي والنسائي:" يبتلى المرء على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقة ابتلى على قدر دينه ".**

جاء في كتاب الزهد لهناد ص: 247 وكذلك كتاب الزهد للإمام أحمد ص: 163: عن عبد الله ابن مسعودﷺ قال:" إنكم ترون الكافر من أصحّ الناس جسمًا، وأمرضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحّ الناس قلبًا، وأمرضهم جسمًا، وايم الله لو مرضت قلوبكم، وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان ".

وعن قيس بن أبي حازم –رحمه الله– قال: طَلَّقَ خالد بن الوليد ﷺ امرأته ثم أحسن عليها الثناء، فقيل له: يا أبا سليمان لأي شيء طلقتها؟ قال: ما طلقتها لأمرٍ رابني منها ولا ساءني، ولكن لم يُصبْها عندي بلاء ".

عن هلال بن يَسَافﷺ قال:" كنا قعودًا عند عمار بن ياسر ﷺ فذكروا الأوجاع، فقال أعرابيّ: ما اشتكيت قط، فقال عمار: ما أنت منا – أو لست منا– إن المسلم ليبتلي ببلاء فَتُحَطُّ عنه ذنوبه كما يُحَط الورق من الشجر وإن الكافر– أو قال: الفاجر– يبتلى ببلاء فمثله مثل بعير أُطلق فلم يدر لِمَ أطلق، وعُقِلَ فلم يدر لِمَ عُقل ".

فالمؤمن يعرف لماذا مرض؟ وإذا عرف وشُفي يعلم من أين أُتِيَ، أما الفاجر فلا يدري لماذا قُيد وربط ومُنع، وأيضًا لا يعلم لماذا أُطلق وترك وعُوفي.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ قال:" دخل أعرابيٌّ على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أخذتك أمُّ مِلْدَم(1) قط؟ قال: وما أمُّ مِلْدَم؟ قال: حرٌّ يكون بين الجلد واللحم، قال: ما وجدتُ هذا قطّ، قال: فهل أخذك هذا الصداع؟ قال: وما

---

1. أم مِلْدَم: هي كنية الحمى. (النهاية:4/249)

هذا الصداع؟ قال: عرقٌ يضرب على الإنسان في رأسه، قال: ما وجدت هذا قطّ، فلما ولّى، قال النبي ﷺ: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ". (صحيح الأدب المفرد، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: إسناده صحيح).

وليس معنى هذا الحديث أن كل من عافاه الله من الأمراض يكون من أهل النار ولابد، ولكن النبي ﷺ أراد إعلام أمته أن المرء لا يكاد يتعرى عن الذنوب والمعاصي، وأن النار تجب له بذلك إن لم يتفضل الله ﷻ عليه بالعفو والمغفرة، وقد جعل الله الأمراض والمصائب وسائر أصناف البلاء سببًا للعفو والمغفرة.

قال ابن حبان –رحمه الله– كما في صحيحه:179/7" في شرح قوله ﷺ:"من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا " لفظة إخبار عن شيء مرادها الزجر عن الركون إلى ذلك الشيء وقلّة الصبر على ضدّه، وذلك أن الله تعالى جعل العلل في هذه الدنيا والغموم والأحزانَ سبب تكفير الخطايا عن المسلمين، فأراد ﷺ إعلام أمته أن المرء لا يكاد يتعرى عن مقارفة ما نهى الله عنه في أيامه ولياليه، وإيجاب النار له بذلك إن لم يتفضل عليه بالعفو، فكأن كل إنسان مرتهن بما كسبت يداه، والعلل تكفر بعضها عنه في هذه الدنيا، لا أنّ من عوفي في هذه الدنيا يكون من أهل النار". اهـ.

وصدق النبي ﷺ حيث قال كما في حديث سابق:" إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ". وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ **(النساء: 123)**

أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عائشة–رضي الله عنها– قالت: أن رجلًا تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، فقال: إنا لنجزي بكل ما عملنا؟ هَلَكْنا إذًا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: نعم. يُجْزَي به في الدنيا من مصيبةٍ في جسده مما يؤذيه ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3429)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرةؓ قال: لما نزلت:﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال النبي ﷺ: قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارةٌ، حتى النكبة يُنْكَبُها والشوكة يُشوكُهَا ".

قال النووي–رحمه الله– كما في شرح مسلم: 367/16: قوله:" **قاربوا**" أي: اقتصدوا فلا تغلوا ولا تقصروا بل توسطوا، "**وسددوا**" أي: اقصدوا السداد، "**والنكبة**" هي مثل العثرة يعثرها برجله، وربما جرحت أصبعه، **وأصل النكب**: الكبّ والقلب.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي بكر ﷺ قال: يا رسول الله! كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ (النساء: 123) وكُلُّ شيء عملناه جُزِينا به، فقال النبي ﷺ: غفر اللهُ لك يا أبا بكر، أَلَسْتَ تمرضُ؟ أَلَسْتَ تحزن؟ ألست يُصيبك اللَّأْوَاءُ[1]؟ قال: قلت: بلى، قال: هو ما تجزون به ".(صحيح الترغيب والترهيب: 3430)

وصدق السلف حيث قالوا: "لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس ".

واعلم أيها المريض... أن أي بلاءٍ مهما كان بالنسبة للنار فهو عافية، وأن أي نعيم بالنسبة للجنة فهو سراب، فأيهما أفضل لك؟ أن يبتليك الله بالمصائب ليطهرك من المعايب؟ أم يعافيك في الدنيا من الأمراض والأسقام وليس لك في الآخرة إلا لفح النار؟ ونحن ضعفاء لا نقوى على لفحة أو غمسة أو صبغة في جهنم فمعها ننسى كل نعيم.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يؤتى بأنعم أهل الأرض من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله لا يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله ما مَرَّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط ".

فيا له من حديث ينزل على هذه القلوب المحترقة بلفح المرض فيهدئ من روعها ويخفف من آلامها، وترضى بهذا المرض والذي يغسلها ويطهرها من الذنوب والزلات ويكتب لها الحسنات ويرفع لها الدرجات.

- **فهذا المرض دواء وشفاء، سقاه العليم الحكيم لمن أراد به الخير.**

---

1. **اللأواء: شدة الضيق.**

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" من يرد الله به خيرًا يُصِبْ منه[1] ".

أَيْ: يُصِبْ مِنْهُ بِالْمَرَضِ الْمُؤَثِّرِ فِي صِحَّتِهِ، وَأَخْذِ الْمَالِ الْمُوَثِّرِ فِي غِنَاهُ، وَالْحُزْنِ الْمُؤَثِّرِ فِي سُرُورِهِ، وَالشِّدَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي صَلَاحِ حَالِهِ، فَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ، كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَا أَرَادَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْخَيْرِ. **(المنتقى شرح الموطأ ص 357).**

قال البيضاوي–رحمه الله– في شرح الحديث السابق: أي: يُوصل إليه المصائب ليطهره من الذنوب ويرفع درجته، وهي اسمٌ لكل مكروه؛ وذلك لأن الابتلاء بالمصائب طبٌّ إلهي يداوي به الإنسان من أمراض الذنوب المهلكة. اهـ. **(كذا في حاشية عبد الباقي على الموطأ: 941/2)**

وقال أبو عبيد الهروي–رحمه الله–:" ومعنى الحديث: يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها". اهـ.

فهذا المرض من جملة الابتلاءات التي يبتلي الله به العبد وفيه ما فيه من الحِكَم الخفية وخير كثير من رب البرية.

فلابد أن نعلم أن الله – سبحانه وتعالى– لا يقضي شيئًا كونًا ولا شرعًا إلا وفيه الخير والرحمة لعباده، وفيه الحكمة البالغة التي تعجز عن إدراكه عقول البشر

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216) وقال تعالى في حديث الإفك: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور:11)

يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–كما في كتابه الفوائد ص 26:" في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

1– يُصِبْ منه: ضبطه بعض الحفاظ بكسر الصاد وبعضهم بفتحها. قال الحافظ –رحمه الله– في الفتح: 113/10: كذا للأكثر بكسر الصاد والفاعل الله. قال أبو عبيد الهروي: معناه يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها، وقال غيره: معناه: يُوجِّه إليه البلاء فيصيبه

وقال ابن الجوزي . رحمه الله .: أكثر المحدثين يرويه بكسر الصاد، وسمعت ابن الخشاب يقول: بفتح الصاد وهو أحسن وأليق كذا قال، ولو عكس لكان أولى. والله أعلم. اهـ.

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له، لما يرجو فيه من حُسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعلَّ مضرَّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئًا، بل يسأله حُسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فوّض أمره إلى ربه، ورضي بما يختاره له، أمدَّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حُسن عواقب اختياره ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور:11)

ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه؛ لأنه مع اختياره لنفسه، ومتى صحَّ تفويضه ورضاه، اكتنفه في المقدور العطف عليه، واللطف به فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدَّره.

أخرج الإمام مسلم عن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمرَه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ".

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء:35).

وأخرج الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال:" عجبت من قضاء الله للمؤمن إن أصابه خير حمد وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد وصبر، فالمؤمن يؤجر في كل أمره

فهذه حال النفس المطمئنة، تعلم أن الله تعالى الذي قدر لها الخير أو الضر حكيم عليم، فلا تبطر بنعمة ولا تجزع من مصيبة، فهي شاكرة في السراء صابرة في الضراء، أمرها كله خير.

المرض منحة من الله تعالى:

فمن خلال ما تقدم ذكره يتضح لك جليًا أخي المريض أن ما أنت فيه من مرض وما تعانيه من آلام وما تلقاه من متاعب؛ نعمة ومنحة من الله سبحانه؛ وهِبَة ربّانية من الرب الرحيم سبحانه لعبده

الفقير المحتاج، فمن رحمته به أن عَرّضه للبلاء لتتحقق له المحبة والخيرية وتحصل له تلك المكاسب من تكفير لسيئات ورفع لدرجات، والتي لا تحصل له بدون ذلك، وإلا فإن الله غنيّ عن تعذيبه، ولا حاجة به سبحانه إلى ما يؤذي عبده، لكن حكمة الله البالغة ورحمته بعبده اقتضت ذلك، فله الحمد على ذلك كثيرًا كثيرًا.

ولكون المرض والبلاء نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء فقد ذكر النبي ﷺ ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال: "وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء ". (أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة: 144)

قال وهب بن منبّه –رحمه الله– كما في" سير أعلام النبلاء:327/4":

إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عدّه رخاء، وإذا أصابه رخاء عدّه بلاء.

وقال الشاعر:

كم نعمة لا تستقلّ بشكرها لله في طيّ المكاره كامنة (جنة الرضا: 52/3)

وقال بعض الحكماء:" رب محسود على رخاء هو شقاؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه ". **(العقد الفريد: 145/3)**

وقال بعض السلف:" يا ابن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب ". **(مدارج السالكين: 216/2)**

وقال بعضهم:" ارض عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه **(مدارج السالكين: 216/2)**

وقال سفيان الثوري –رحمه الله–:" ليس بفقيه من لم يعدّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة". **(حلية الأولياء:55/7)**

وقال أبو الصلت:

تجري الأمور على حكم القضاء وفي طيّ الحوادث محبوب ومكروه

وربّما سرّني ما كنت أحذره وربما ساءني ما بتّ أرجوه

(جنة الرضا:52/3)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:" لا منافاة بين كون الشيء مصيبة باعتبار ونعمة باعتبار، فباعتبار ما يحصل به من الأذى هو مصيبة، وباعتبار ما حصل به من الرّحمة نعمة، وهذا بمنزلة شرب المريض الدواءَ الكريه فهو مصيبة باعتبار مرارته، وهو نعمة باعتبار إزالته للمرض الذي هو أشدّ ضررًا منه، وأدنى الشرّين إذا زال كان أعظمها نعمة ". **(تسلية أهل المصائب ص 227)**

وقال ابن القيم –رحمه الله–:" لو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبَه بشكره ولسانَه ". **(طريق الهجرتين ص496)**

وقال أيضًا:" الآلام والأمراض والمشاقّ من أعظم النعم، إذ هي أسباب النعم..... فأعظم اللذّات ثمرات الآلام ونتائجها ". **(شفاء العليل ص525)**

وقال سفيان الثوري–رحمه الله–:" منعه عطاء، وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم وإنما نظر في خير عبده المؤمن فمنعه اختيارًا وحسن نظر".

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في مدارج السالكين:2/215" عقب إيراده لكلام سفيان:" وهذا كما قال، فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، ساءه ذلك القضاء أو سرّه، فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بليّة، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعدّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذّ به في العاجل وكان ملائمًا لطبعه. ولو رُزِق من المعرفة حظًا وافرًا لعدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذّذ بالبلاء أكثر من لذّته بالعافية، وتلذّذ بالفقر أكثر من لذّته بالغنى، وكان في حال القلّة أعظم شكرًا من حال الكثرة، وهذه كانت حال السلف، فالعاقل الراضي من يعدّ البلاء عافية، والمنع نعمة، والفقر غني، فالراضي هو الذي يعدّ نعم الله عليه فيما يكرهه أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه ". اهـ.

وهذا آوان الشروع للدخول في الموضوع والحديث عن آداب المريض مع نفسه:

الأدب الأول: أن يرقي نفسه بما ثبت في السنة المباركة:

فيستحب للمريض أن يرقي نفسه بما ثبت في السنة المباركة، ومن ذلك:

1- قراءة الفاتحة:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:" أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا علي حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لُدِغَ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواءٍ أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلًا فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك، وقال: وما أدراك أنها رقية؟ خذوها واضربوا لي بسهم ".

يقول ابن القيم – رحمه الله – كما في" زاد المعاد:178/4" والجواب الكافي ص 21:

" لقد مر بي وقت في مكة سقمت فيه، ولم أجد طبيبًا ولا دواءً، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأري لها تأثيرًا عجيبًا، آخذ شربةً من ماء زمزم وأقرؤها عليها مرارًا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع به غاية الانتفاع، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا فكان كثير منهم يبرأ سريعًا بإذن الله ".

2- قراءة المعوذات (ثلاث مرات):

والمعوذات هي: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قُلْ أعوذ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أعوذ بِرَبِّ النَّاسِ.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها–:" أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث[1]، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده رجاء بركتها ".

3– يضع يده على المكان المؤلم من الجسد، ويقول: بسم الله (ثلاثًا) ثم يقول: أعوذ بعزةِ الله وقدرتِهِ من شَرِّ ما أجدُ وأحَاذِر (سبعًا).

1– ومعني النفث: أن يجمع كفيه ويقرأ بالمعوذات فيهما، ثم يمسح على بدنه ووجهه، والنفث نفخ لطيف بلا ريق. وسئل ابن شهاب كيف كان ينفث؟ قال: ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه. اهـ

فقد أخرج الإمام مسلم عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ أنَّهُ شَكَا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ في جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: ضَعْ يَدَكَ علَى الَّذي تَأَلَّمَ مِن جَسَدِكَ، وَقُلْ: باسْمِ اللهِ، ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ باللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحَاذِرُ.

وفي رواية لأبي داود والترمذي: قال عثمان بن أبي العاص ﷺ: فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم. وفي رواية:" امسحه بيمينك سبع مرات"

وفي رواية عند الإمام أحمد والطبراني في الكبير بسند صحيح عن كعب بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إذا وجد أحدكم ألمًا فليضع يده حيثُ يجدُ ألمهُ، ويقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شيء من شرِّ ما أجدُ ". (صحيح الجامع: 820)

وقفة:

وفي هذا الحديثِ يَروي عُثمانُ بنُ أبي العَاصِ الثَّقَفِيُّ ﷺ أنَّه شَكَا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يُؤلِم جسَدَه منذُ أسلَمَ، فأَمَره ﷺ أن يَضَعَ يدَه على ما يُؤلِمُه مِن جَسدِه، ويقولَ: "بِاسْمِ الله" ثلاثَ مرَّاتٍ، وأنْ يقولَ سَبْعَ مرَّاتٍ: "أَعُوذُ باللهِ وقُدرَتِه"، أي: أَلْتَجِئُ وأَعتَصِم وأتَحَصَّن باللهِ وقُدرتِه "مِن شرِّ ما أَجِدُ" وأشعُرُ به مِن الوَجَعِ في الوقتِ الحاضرِ مِن الألَمِ "وأُحاذِرُ" أي: وممَّا يُتوقَّعُ حُصولُه في المستقبَلِ مِن الحُزنِ والخوفِ، أو مِن أنْ يَستمِرَّ هذا المرضُ ويَنتشِرَ ألَمُه بالجسَدِ، وظاهرُ هذا الدُّعاءِ أنَّه لكلِّ ألمٍ مِن الآلامِ الَّتي بالأعضاءِ. **(الدرر السنية باختصار)**

وعندما وصف النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص ﷺ كيف يعالج نفسه، وذلك بأن يضع يده علي مكان الألم ويقول: **بسم الله "ثلاثًا"** ففعل عثمان بن أبي العاص فأذهب الله عنه ما كان يجد وتم الشفاء، وكيف لا يتم الشفاء بهذا الاسم الذي هو سر الحياة.

يقول ابن القيم –رحمه الله–: لهذا الاسم الشريف خصائصه المعنوية، فقد قال أعلم الخلق بربه ﷺ: **" لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ". (رواه مسلم)** وكيف يُحصى خصائص اسم لمسماهُ كلُّ كمالٍ علي الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناءٍ وكل مجد، وكل جلالٍ وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وفضل وبر فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثرهُ، ولا عند خوفٍ إلا أزاله، ولا عند كربٍ إلا كشفه، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا صار غنيًا، ولا

مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيَّده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه سَعِدَ من عرفه وقام بحقه، وبقي شقي من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبت، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئًا منه منتهيًا إليه. اهـ

ثم قال له النبي ﷺ بعد ذلك، ثم قل:" أعوذ بعزة اللهِ وقدرتِهِ من شرِّ ما أجد وأُحاذِر ".

فأمره أن يلتجئ ويحتمي بالله متوسلًا بصفتين من صفات الكمال الإلهي: العزة والقدرة، فاحتماؤه بالعزة يملأ قلبه غنى حتى لا يلتفت قلبه إلى غير الله، فالعزيز لا يغالب، واحتماؤه بالقدرة يملأ قلبه يقينًا وقوةً، لأنه طلب النصرة من القادر على كل شيء الذي بيده ملكوت كل شيء.

الأدب الثاني: المبادرة بكتابة الوصية:

إذا كان على المريض حقوق للناس، أو له حقوق عندهم، أو يرغب في الوصية بشيء من ماله، فعليه أن يبادر بكتابة الوصية، فإن السنة المبادرة بها. وكتابته لها لا تدني من أجله، وعدم كتابته لها لا تباعده منه، والمرء لا يدري متي يَفْجَأْهُ الموت.

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر–رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال:" ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده ".

قال ابن عمر–رضي الله عنهما– كما في صحيح مسلم:" ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي ".

فهذا الحديث دليل على مشروعية المبادرة بالوصية وكتابتها، خشية مباغتة الموت، فكم من شخص مات في حال صحته أو مرضه عنده أموال طائلة، وله حقوق وعليه حقوق، يريد أن يوصي بشيء من ماله، ليجري له عمله بعد موته، فاخترمته المنية قبل أن يصنع ذلك.

ويستحب عدم تأخير الوصية إلى حضور أمارات الموت. لقوله النبي ﷺ لما سئل: أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال:" أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تُمْهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان ". (البخاري ومسلم)

ومعنى الحديث أن الشحّ غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها (أي حال الصحة) وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت وآيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حالة الصحة و"**الشح** "رجاء البقاء وخوف الفقر، و" **تأمُل الغنى**" بضم الميم أي: تطمع به. ومعنى "**بلغت الحلقوم**" بلغت الروح، والمراد قاربت بلوغ الحلقوم، إذ لو بلغته حقيقة لم تصحّ وصيته ولا صدقته ولا شيء من تصرفاته باتفاق الفقهاء. (**شرح صحيح مسلم للنووي:129/7**)

وينبغي في الوصية إلا يوصي بأكثر من الثلث. لحديث سعد بن أبي وقاص ﷺ حيث سأل رسول الله ﷺ أن يوصي بماله كلّه؟ فقال:" لا ". وبالثلثين؟ فقال:" لا "، وبالنصف. فقال:" لا "، فقال: الثلث. قال ﷺ:" الثلث، والثلث كثير ". (**والحديث عند البخاري ومسلم**)

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:" لو أن الناس غَضوا[1] من الثلث إلى الربع، فإن رسول الله ﷺ قال: الثلث، والثلث كثير.

وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ:" وددت أن الناس غضّوا من الثلث إلى الربع في الوصية ".

الأدب الثالث: عدم الإضرار في الوصية:

قال تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12) تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء 12– 14)

قال ابن عادل: اعلم أن الإضرار في الوصية يقع على وجوه منها: –

أن يوصى بأكثر من الثلث، أو يقر بكل ماله أو بعضه لأجنبي، أو يقر على نفسه بدين لا حقيقة له دفعًا للميراث عن الورثة، أو يقر بأن الدين الذي كان له على فلان استوفاه منه، أو يبيع شيئًا بثمن رخيص، ويشترى شيئًا بثمن غال، كل ذلك لغرض ألا يصل المال إلى الورثة، أو يوصى بالثلث لا لوجه الله لكن لغرض تنقيص الورثة، فهذا هو الإضرار في الوصية. اهـ

1– غضّوا: نقصوا وحطّوا. (فتح الباري:370/5)

ومن الإضرار في الوصية أن يوصي على أطفاله مَنْ يعلم من حاله أنه يأكل مالهم، أو يكون سببًا لضياعه لكونه لا يحسن التصرف فيه.... أو نحو ذلك.

ومن الإضرار كذلك في الوصية أن يلجأ البعض إلى التحايل بالبيع الصوري لابنته الوحيدة؛ لإسقاط حقوق إخوته في الميراث، وفريق آخر يسقط حق بناته بالبيع الصوري لأولاده الذكور.

وفي الحديث:" إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ".

فلو أوصى لأحد الورثة فلا تنفذ إلا برضا بقية الورثة، وكذلك لو أوصى في أكثر من الثلث.

والواجب على من اقتطع حق الورثة بمثل هذا الإضرار أن يبادر برد الحقوق لأصحابها، وعلى الموصي أن يتقي الله في نفسه وفي الورثة لاسيما في هذه الحالة التي يصدق فيها الكاذب، ويتوب فيها الفاجر، فإقدامه على الإضرار في الوصية–خصوصًا في آخر حياته– دليل ظاهر على قسوة قلبه، وفساد عقله وغاية جرأته، ويخشى عليه أن يُختم له بشر عمله فيدخل النار.

فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"إن الرجل ليعمل –والمرأة– بطاعة الله ﷻ ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارّان في الوصية فتجب لهما النار، ثم قرأ أبو هريرة ﷺ:﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ.... حتى بلغ... وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: 12، 13)

فائدة:

الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن جابرﷺ أن النبي ﷺ قال:" من مات على وصيةٍ مات على سبيلٍ وسنةٍ، ومات على تقى وشهادةٍ ومات مغفورًا له ". (حديث ضعيف ضعفه الشيخ الألباني في" ضعيف الجامع:5848).

الأدب الرابع: الإنـــابـــة (وهي الرجوع إلى الله - عز وجل- والإقبال عليه):

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ (الزمر:8)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ (الروم: 33)

فالمرض يريك فقرك وعجزك وحاجتك إلى الله تعالى، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله وتقبل عليه بعد أن كنت غافلاً عنه.

يقول أبو المليح –رحمه الله–:" دخل صالح بن سماد على مريض يعوده وأنا معه، فلما قام من عنده قال:" إنَّ رَبَكَ قد عاتبكَ فأعْتبه". أي: يقصد أن الله ﷻ يعاقبه على تقصير بدر منه أو ذنب زل فيه أو معصية لا تفارقه فابتلاه بمرضه هذا كي يرجع إلى ربه يعتذر إليه ويسترضيه.

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله–:" مصيبة تقبل بها على الله؛ خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله " **(تسلية أهل المصائب ص 226)**

فالمصائب تَردّ العبدَ الشارد إلى ربّه، وتذكّره بمولاه بعد أن كان غافلًا عنه، وتكفّه عن معصيته بعد أن كان منهمكًا فيها، فإن العبد متى كان صحيحًا معافى انهمك في ملذاته وشهواته وأقبل على دنيَاه فنسي مولاه، وتحيَّن الشيطانُ غفلته فأوقعه في الشهوات والمعاصي، فإذا ابتلاه الله بمرض أو غيره استشعر ضعفه وذُلَّه وفقره إلى مولاه، وتذكّر تقصيره في حقه وتفريطه في جنبه، فعاد إليه نادمًا ذليلًا متضرعًا.

وقد أخرج ابن جرير –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف:168)

أي: بلوناهم بالنعم والمصائب ليرجعوا إلى طاعة ربهم، وينيبوا إليه ويتوبوا من معاصيه.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه قال: كنت مع سلمان وعاد مريضًا في كِنْدَة[1] فلما دخل عليه قال: أبشر، فإنّ مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبًا، وإنّ مرض الفاجر كالبعير عَقَله أهله، ثم أرسلوه، فلا يدري لِمَ عُقِل ولِمَ أُرسل!!

1- كِنْدَة: اسم لقبيلة عربية قديمة في عصر الجاهلية اشتهرت بالقوة.

وقوله:" ومستعتبًا "أي: سببًا في محاسبة النّفس والرجوع عن الإساءة، ومعنى الحديث: أن المرض كفارة للمؤمن، وسبب في توبته وإيقاظه من غفلته، بخلاف الفاجر فإنه لا يزال مصرًا على المعصية، لم يؤثر عليه المرض ولم يُعِده إلى ربه، فلم يعرف أن المرض إنما نزل به لإيقاظه من الغفلة وإرجاعه إلى الحق، كالبعير الذي أمسكه وربطه أهله، ثم أرسلوه، فلا يدري لِمَ أمسك ولِمَ أرسل!!

وجاء في كتاب عدة الصابرين ص 102 أن يزيد بن ميسرة –رحمه الله– قال:" إن العبد ليمرض وماله عند الله من عمل خير، فيذكِّره الله سبحانه بعضَ ما سلف من خطاياه، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله، فيبعثه الله إن يبعثه مطهرًا، أو يقبضه إن قبضه مطهرًا ".

الأدب الخامس: التحلل من المظالم أو من له حق عليه:

إذا كان لأحد من أقارب المريض أو أصحابه أو غيرهم حق مالي فليبادر برده إليهم أو التحلل منه، وكذا من كانت له عنده مظلمة في عِرْض أو غيره فليتحلل منه ما دام في زمن الإمكان.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه ".

وفي رواية عند البخاري أيضًا:" من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو ماله فليؤدها إليه قبل أن يأتي يوم القيامة لا يقبل فيه دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه وأعطي صاحبه، وإن لم يكن له عمل صالح أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه ".

وقوله:" من كانت له مظلمة لأخيه" اللام في قوله: (له) بمعنى (على) أي: من كانت عليه مظلمة لأخيه **وفي رواية للحديث:" من كانت عنده مظلمة لأخيه ".**

وقوله:" من عرضه أو شيء " أي من الأشياء، وهو من عطف العام على الخاص، فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة ونحوها.

وقوله:" قبل ألا يكون دينار ولا درهم " أي: يوم القيامة.

وقوله:" أخذ من سيئات صاحبه " أي صاحب المظلمة،" **فحمل عليه "** أي: على الظالم.

وفي الرواية الثانية:" فطرحت عليه ". (فتح الباري:101/5)

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضِي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار".

الأدب السادس:

أن يستأذن أزواجه أن يمرَّض في بيت إحداهن إذا كان متزوجًا من أكثر من امرأة:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ، واشتد به وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له، فخرج بين رجلين، تخط[1] رجلاه في الأرض. وكان بين العباس ورجل آخر. قال عبيد الله: فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة. فقال لي: وهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال قلت: لا. قال: هو عليّ بن أبي طالب.

الأدب السابع: أن يفضي بسرٍّ من أسراره إلى من يحب:

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة – عليها السلام– في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك فقالت: ساريني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم ساريني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه، فضحكتُ ".

1– تخط: أي لم يقدر على تمكينهما من الأرض.

الأدب الثامن: لا يُحمِّل أهله وإخوانه وأحبابه مالا يطيقون:

أخي المريض..... تذكر أن أهلك وإخوانك وأحبابك متأثرون لما أنت فيه، قد أحسوا بمصابك، وشعروا بألمك، وتوجّعوا لوجعك، فحقّ عليك أن تراعي أمورًا معيَّنه في التعامل معهم.

أولها: لا تحمِّل من حولك ما لا يطيقون بتكليفهم بالقيام بأمور يشقّ عليهم القيام بها، أو مطالبتهم بمطالب يعجزون عن تحقيقها أو يرهقهم توفيرها، وإن كانوا يعطفون عليك ويرحمونك ويتحملون منك، لكن لا ينبغي أن تجعل ذلك مُبَرِّرًا للإثقال عليهم.

ثانيها: أظهر لأهلك ومحبيك أنك بخير، وأن صحتك في تحسّن مستمر، وأنّ نفسيّتك عالية، لتطمئنهم وتطرد عنهم القلق والحزن الذي أحاط بهم إشفاقًا عليك.

ثالثها: إذا حصل من أحد من أحبابك وإخوانك وأقاربك تقصير في زيارتك أو السؤال عنك، فالتمس له العذر، ولا تحمل عليه في صدرك، والتمس له المعاذير، فقد يُقصِّر في ذلك لأمور:

منها: عدم العلم بحالك، فقد لا يعلم بما أصابك من المرض.

ومنها: النسيان، وكل أحد عرضة له.

ومنها: الاشتغال بأمور ملزمة لا انفكاك له عنها.

وثمت أعذار أخرى إذا التمستها وجدتها.

أخي المريض... إذا كنت طريح الفراش وتنام على السرير، وحولك الأهل والأحباب فاحمد الله على هذه النعمة، فغيرك ملقاة أجسادهم في الشوارع ويشتهون كوب الماء ولا يجدون من يعطيهم إياه.

يقول سلام بن أبي مُطيع –رحمه الله–: " دخلت على مريض أعوده فإذا هو يئن، فقلت: اذكر المطروحين في الطرق، واذكر الذين لا مأوى لهم ولا من يخدمهم، قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك، فلم أسمعه يئن، فجعل يقول: اذكر المطروحين في الطرق، واذكر الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم ".

الأدب التاسع: لا يكشف عورته من غير ضرورة:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: 26)

قال النبي ﷺ:" لا ينظر الرجلُ إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأةُ إلى عورة المرأة ". (أخرجه مسلم)

وقال النبي ﷺ:" احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك ". (أخرجه أبو داود)

الأدب العاشر:

يجوز له التوجع وذكر الوجع للغير، بخلاف الشكوى فإنها لا تكون إلا لله وحده:

كما قال تعالى على لسان أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(الأنبياء:83)

وأيوب عليه السلام لم يخبر مخلوقًا، إنما كان هذا منه لله؛ ليزيل ما نزل به من ضر، ولم يكن على سبيل الشكاية أو الجزع؛ لأن الله قال في حقه: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص:44)

قال الثعلبي: سمعت أستاذنا أبا القاسم يقول:" حضرت مجلسًا غاصًا بالفقهاء والأدباء والسلطان، فسئلت عن هذه الآية بعد إجماعهم على أن قول أيوب شكاية، فقلت: ليست هذه شكاية، وإنما هو دعاء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ (الأنبياء:84)، والإجابة تعقب الدعاء لا الشكاية، فاستحبوه وارتضوه (تفسير القرطبي:327/11)

ويجوز له كذلك التوجع وأن يذكر وجعه كأن يقول: أنا وجع أو محموم أو يقول: أنا متعب أو وارأساه[1] أو نحو ذلك، بشرط ألا يكون ذلك على سبيل الشكاية والتسخط، إنما يكون لبيان الحال كما حدث مع النبي ﷺ.

1- ما حكم الأنين (التأوُّه) عند المرض؟ أما أنين المريض ففيه روايتان عن الإمام أحمد: الكراهة وعدمها، وقال القاضي أبو الحسين: أصح الروايتين الكراهة، لما روى طاووس: أنه كان يكره الأنين في المرض. وقال مجاهد: يُكْتب على ابن آدم مما سطر به، حتى أنينه في مرضه. وقال جماعة من العلماء: الأنين شكوى بلسان الحال، فينافي الصبر. وقد أحسن العلامة ابن

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة –رضي الله عنها–: وارأساه، فقال رسول الله ﷺ:" ذاك لو كان وأنا حيّ فأستغفر لك وأدعو لك". فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرِّسا ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ:" بل أنا وارأساه، لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون أو يتمني المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع ويأبى المؤمنون ".

وفي رواية عند ابن إسحاق بسند صحيح وعند الحاكم من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي وأنا أقول: وارأساه، فقال:" بل أنا والله يا عائشة وارأساه ".

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دخلت علي رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت: يا رسول إنك لتوعك وعكًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ:" أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم ".

وجاء في صحيح البخاري أيضًا قول سعد بن أبي وقاص ﷺ للنبي ﷺ حين قال:" بلغ بي من الوجع ما ترى.....". الحديث

قال المروزي–رحمه الله–:" دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل وهو مريض، فسألته فتغرغرت عيناه، وجعل يخبرني ما مرّ به في ليلته من العلة. (تسلية أهل المصائب ص 163)

القيم – رحمه الله– حيث قال كما في عدة الصابرين ص326: التحقيق أن الأنين على قسمين: القسم الأول: أنين الشكوى فيكره. القسم الثاني: أنين استراحة وتفريج فلا يكره. والله أعلم

والشكوى إلى الخلق وإن كان فيها راحة إلا إنها تدل على ضعف وخور والصبر عليها دليل قوة وعزم. جاء في كتاب تسلية أهل المصائب ص 167: أن الأحنف شكى إلى عمه وجعَ ضرسه فكرر عليه، فقال: أتكرر عليّ؟ لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها إلى أحد.

. ولما نزل في عيني عطاء الماءُ، مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يومًا من قبل عينه التي أصيب فيها، فشعر به، فعلم أن الشيخ قد أُصيب.

وكان السلف يكرهون الشكوى إلى الخلق ويجعلون مكان الأنين ذِكْر الله تعالى.

ذكر ابن أبي الدنيا بإسناده إلى إسماعيل بن عمرو قال: دخلنا على ورقاء بن عمر وهو في الموت، فجعل يهلل ويكبر ويذكر الله تعالى، وجعل الناس يدخلون عليه ويسلمون عليه فيرد عليهم السلام، فلما كثروا عليه، أقبل على ابنه فقال: يا بني أكفني رد السلام على هؤلاء، لا يشغلوني عن ذكر ربي ".

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في عدة الصابرين ص314:

وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرره لم يقدح ذلك في الصبر، كإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به حاله، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه، وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله، ويقول: كيف تجدك؟ وهذا استخبار منه واستعلام بحاله. اهـ

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" الفتح:129/10" قال القرطبي: اختلف الناس في هذا الباب – أي جواز التوجع من عدمه– وبث الشكوى والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد علي رفعه، والنفوس مجبولة علي وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ماله سبيل إلى تركه: كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد، كأن من فعل ذلك خرج من معاني أهل الصبر، وأما مجرد التشكي فليس مذمومًا حتى يحصل التسخط للمقدور، وقد اتفقوا علي كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر.

وقال ابن حجر –رحمه الله– أيضًا في" فتح الباري:124/10": " أما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقًا ".

الأدب الحادي عشر: الصبر على المرض، فإن ذلك عبودية الضراء:

– فاصبر أيها المريض وسل الله أن يعينك على الصبر، فهو سبحانه الذي يعطيك إياه، **قال تعالى لنبيه:** ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾ (النحل: 127)

فعلى المريض أن يصبر ويتذكر حسن عاقبة الصبر، ويستحضر الآيات والأحاديث التي تثلج صدره، وتذهب همه، ويعلم أن الله تعالى يحب الصابرين **كما قال تعالى:** ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:146)

والله تعالى يبشر الصابرين:

فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 155–157)

والمصيبة تشمل كل ما يسوء المرء، **كما جاء في مصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح عن عمر ابن الخطاب ﷺ:" أنه انقطع شسْع نعله فاسترجع وقال: كل ما ساءك فهو مصيبة ".**

بل يخبرك الله تعالى أنه معك إذا صبرت على هذا المرض، **فقال تعالى:** ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ **(البقرة:153)**

وتدخل الملائكة عليك يوم القيامة وتسلم عليك بسبب صبرك، **قال تعالى:** ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23) سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد 23–24)

واعلم... أن صبرك على المرض له أجر عظيم، وفضل كبير:

قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ.... إلى قوله... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ **(الأحزاب: 35)**

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: 10)

وأعد الله تعالى الأجر للصابرين فجعل لهم الغرف في جنات النعيم:

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (الفرقان: 75)

وأخرج البزار وابن حبان بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ قال:" جاءت امرأةٌ بها لَمَمٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادْعُ الله لي، فقال: إن شئت دعوتُ الله فشفاكِ، وإن شئتِ صبرتِ ولا حساب عليك، قالت: بل أصبرُ ولا حسَابَ عَلَيّ ".

ومما يدل على أن المرض هبة ورحمة وليس له جزاء إلا الجنة لمن صبر عليه.

ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال:" جاءت الحمى إلى النبي ﷺ فقالت: ابعثني إلى آثر أهلك[1] عندك، فبعثها إلى الأنصار، فبقيت عليهم ستة أيام ولياليهن، فاشتد ذلك عليهم، فأتاهم في ديارهم، فشكوا ذلك إليه، فجعل النبي ﷺ يدخل دارًا دارًا، وبيتًا بيتًا، يدعو لهم بالعافية، فلما رجع تبعته امرأة منهم، فقالت: والذي بعثك بالحق إنّي لمن الأنصار، وإنّ أبي لمن الأنصار، فادع لي كما دعوت للأنصار. قال: ما شئت، إن شئت

1– آثر أهلك أي: أكرم وأفضل أهلك عندك، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا} (يوسف: 91) (لسان العرب: 4/7).

دعوت الله أن يعافيك، وإن شئت صبرت ولك الجنّة، قالت: بل أصبر، ولا أجعل الجنة خطرًا[1] ". (صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: 188)

ومن علامة الصبر والاحتساب عدم الشكوى:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله تعالى: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مُؤمنًا فحمدني وصبر على ما بَليتُه، فإنهُ يقومُ من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمهُ من الخطايا، ويقولُ الربُّ ﷻ للحفظة، إني أنا قيَّدتُ عبدي هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبلَ ذلك من الأجر، وهو صحيح ". (صحيح الجامع: 4300)

وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال اللهُ تَعالى:" إذا ابتليتُ عبديَ المؤمنَ ولمْ يشكُني إلى عُوادِهِ أطلقتُهُ مِنْ إساري، ثمَّ أبدلتُهُ لحمًا خيرًا مِنْ لحمِهِ، ودمًا خيرًا مِنْ دمِهِ، ثمَّ يستأنفُ العملَ ". (صحيح الجامع: 4301)

فيا له من ربٍّ رحيم وسعت رحمته كل شيء – سبحانه وتعالى –

وأخرج الإمام مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار قال:" إذا مَرِضَ العبدُ بعث اللهُ إليه ملكين فقال: انظرا ما يقولُ لعوَّادِه[2]؟ فإنْ هو إذا جاءوه حمِد اللهَ وأثنى عليه رفعَا ذلك إلى اللهِ وهو أعلمُ فيقولُ: لعبدي عليَّ أنْ أدخلَه الجنَّةَ وإن أنا شفيتُه أنْ أبدلَه لحمًا خيرًا من لحمِه وأنْ أُكفرَ عنه سيئاتِه ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3431) (الصحيحة: 1146)

وإذا اعترتك بلية فأصبر لها صبر الكريم فإنه بك أكرم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

---

1 . والخطر في الأصل: الرهن وما يخاطر عليه. (النهاية:2/ 46)، فكأنها تقول: لا أجعل الجنة خطرًا غير مضمون بإيثارها الدعاء منه ﷺ لها بالشفاء، وإنما تضمن الجنة بالصبر الذي به ضمن لها ﷺ الجنة (ذكر هذا المعنى الألباني في صحيح الأدب المفرد ص 189 وقال: هذا ما بدا لي بعد التباحث مع بعض الإخوة الفضلاء).

2– لعُوَّادِه: أي زُوَّاره.

الأدب الثاني عشر: عدم الجزع والتسخط وسب المرض:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنها– أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ علَى أعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قالَ: وكانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا دَخَلَ علَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قالَ: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ له: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ، قالَ: قُلتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هي حُمَّى تَفُورُ –أوْ تَثُورُ– علَى شَيخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ:" فَنَعَمْ إذَنْ ".

وفي هذا الحَديثِ يَرْوي عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ –رَضيَ اللهُ عنهما– أنَّ النَّبيَّ ﷺ ذهَب إلى أعْرابيٍّ – وهو الذي يَسكُنُ الصَّحْراءِ– يَعودُه، ويَزورُه في مَرَضِه، فدَعا له، فقال: **"لا بَأسَ"** عليكَ، هو **"طَهورٌ"** لكَ مِن ذُنوبِكَ إن شاءَ اللهُ، فقال الأعْرابيُّ: لا، ليس بطَهورٍ، **بلْ هي حُمَّى تفورُ** –أو قال: تَثورُ–، أي: يَظهَرُ حَرُّها ووَهْجُها وغَلَيانُها، "على شَيخٍ كَبيرٍ، تُزيرُه القُبورَ"، فتَكونُ نِهايتُها الموتَ، مِن: أزارَه؛ إذا حَمَلَه على الزِّيارةِ، فالمعنى: لَيس كما رجَوْتَ لي مِن تَأخيرِ الوَفاةِ، بلْ يَكونُ الموتُ مِن هذا المرضِ هو الواقِعَ، وذلك غايةُ الجَهلِ مِن هذا الأعْرابيِّ، فقال ﷺ: **"فنَعمْ إذَنْ"**، وهذا تَقْريرٌ مِن النَّبيِّ ﷺ لِما قاله الأعْرابيُّ، والمعنى: أرشَدتُكَ بقَوْلي: لا بَأسَ عليكَ، إلى أنَّ الحُمَّى تُطهِّرُكَ وتُنقِّي ذُنوبَكَ، فاصبِرْ شُكرًا عليها، فأبَيْتَ إلَّا اليأسَ والكُفْرانَ، وما اكتفَيْتَ بذلك، بلْ ردَدْتَ نِعْمةَ اللهِ، فكان كما زعَمْتَ، والأمرُ كما تقولُ، وقَضاءُ اللهِ كائنٌ لا مَحالةَ، فقال له النَّبيُّ ﷺ ذلك غَضبًا عليه؛ إذ أرشَدَه إلى الصَّبرِ والشُّكرِ فأبى، ولم يَسلُكْ طَريقةَ الأدَبِ، وتَجاوَزَ الحَدَّ؛ لكَونِه مِن جُفاةِ الأعْرابِ وأجْلافِهم، فلمْ يَثبُتْ مِن شِدَّةِ الوجَعِ. **(الدرر السنية)**

وأخرج مسلم من حديث جابرﷺ: أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب، فقال مالك: يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين[1]، قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال:" لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد ".

ويذكر العائد المريض بأن التسخط وسب المرض لا يذهب المرض، بل لم يستفد من هذا إلا ضياع الأجر واحتمال الوزر.

يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في كتاب الطب النبوي ص: 23:" ذكرتُ مرة وأنا محموم قول بعض الشعراء يسب الحمّى:

1– تزفزفين: معناه تتحركين حركة شديدة أي ترتعدين.

زارت مكفرةُ الذنوب وودّعت تبًا لكِ من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد؟ فقلت: ألا ترجعي

فقلت: تبًا له، إذ سب ما نهى الرسول ﷺ عن سبِّه، ولو قال:

زارت مكفرةُ الذنوب لصبها أهلًا بها من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد؟ فقلت: ألا تقلعي

لكان أولى به ولأقلعت عنه، ثم قال ابن القيم: فأقلعت عني سريعًا.

وقفة:

وعلى وفق ما مر بنا فإنه لا ينبغي للإنسان أن يصف السرطان ويقول عنه: إنه مرض خبيث أو لعين. فالمرض أيًّا كان فهو سبب أن يذهب الله به الخطايا، ويمحو به الذنوب والأوزار، ويكتب به الحسنات، ويرفع به الدرجات. **وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له:" لا بأس طهورٌ إن شاء الله"** (البخاري)

الأدب الثالث عشر: الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى:

ويذكر المريض حديث النبي ﷺ الثابت في سنن أبي داود بسند صحيح:" إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط ". (السلسلة الصحيحة:146)

وغير ذلك من الآيات والأحاديث في بيان فضل الصبر، والحكمة من المرض.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال اللهُ تَعالى:" إذا ابتليتُ عبديَ المؤمنَ، ولمْ يشكُني إلى عُوادِهِ أطلقتُهُ مِنْ أساري، ثمَّ أبدلتُهُ لحمًا خيرًا مِنْ لحمِهِ، ودمًا خيرًا مِنْ دمِهِ، ثمَّ يستأنفُ العملَ ". (صحيح الجامع: 4301) (الصحيحة:272)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى من حديث أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيّ قَالَ:" رُحْتُ إِلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ، وَهَجَّرْتُ[1] بِالرَّوَاحِ، فَلَقِيتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ ﷺ وَالصُّنَابِحِيَّ مَعَهُ، فَقُلْتُ: أَيْنَ

1- هجرت: أي بكَّرت.

تُرِيدَانِ يَرْحَمُكُمَا اللهُ؟ فَقَالَا: نُرِيدُ هَاهُنَا إِلَى أَخٍ لَنَا مَرِيضٍ نَعُودُهُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى دَخَلَا عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقَالَا لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بِنِعْمَةٍ، فَقَالَ لَهُ شَدَّادٌ بن أوس: أَبْشِرْ بِكَفَّارَاتِ السَّيِّئَاتِ، وَحَطِّ الْخَطَايَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ :إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مُؤْمِنًا مِنْ عِبَادِي، فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ مِنْ الْخَطَايَا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عز وجل للحفظة: أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ ".

(صحيح الجامع: 4300) (صحيح الترغيب والترهيب: 3423)

الأدب الرابع عشر: عدم الاستعانة بالكهان والعرافين والسحرة لرفع البلاء:

اعلم أخي المريض– شفاك الله – أنه يحرم إتيان السحرة والكهان والعرافين وغيرهم ممن يدعي علم الغيب، فإنهم كذبة، **كما قال تعالى:** ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ **(النمل:65)**

أي: لا أحد من الخلق يعلم الغيب إلا الخالق –سبحانه وتعالى– فإنه الذي يعلم ذلك دون من سواه. وهؤلاء يدّعون علم الغيب.

وقد تضافرت النصوص في التحذير من إتيان هؤلاء الذين يدّعون علم الغيب.

منها قوله ﷺ كما في صحيح مسلم:" من أتى عرّافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ".

وهذا فيه أن مجرد سؤالهم ولو لم يحصل التصديق لهم محرّم ولا تقبل صلاة صاحبه أربعين ليلة، أما من صدقهم؛ فقد كفر بما أنزل على النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ".

وهذا فيه أن من صدّق الكاهن فقد وقع في الكفر.

وأخرج أبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير عن ابن مسعود ﷺ قال:" من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا فسأله فصدّقه، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ".

قال الحافظ–رحمه الله– في الفتح:" سنده جيد لكن لم يصرح برفعه ومثله لا يقال بالرأي ". اهـ

وأخرج البزار بسند جيد عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ليس منا من تَطَيَّر أو تُطُيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، من أتى كاهنًا فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ".

قال الشيخ ابن باز –رحمه الله –: فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذي يدّعون المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز أن يصدّقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجنّ ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادَّعوا علم الغيب (ثم ساق الأحاديث التي ذكرت) **ثم قال بعد كلام له**: كما أن في هذه الأحاديث دليلًا على كفر الكاهن والساحر، لأنهما يدّعيان علم الغيب وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصّلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله، وذلك كفر بالله، وشرك به والمصدق لهم في دعواهم على الغيب يكون مثلهم. وكل من تلقّى هذه الأمور عمن يتعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ، ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجًا كنمنمتهم بالطلاسم أو صبّ الرصاص، ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها، فإن هذا من الكهانة والتلبيس على الناس، ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم "**(مجموع فتاوى ابن باز: 3/276–274)**

وقال في موضع آخر بعد سياق طائفة من الآيات والأحاديث:" وبما ذكرنا من الأحاديث يتبين لطالب الحق أن علم النجوم وما يسمَّى بالطالع وقراءة الكف وقراءة الفنجان ومعرفة الخطّ، وما أشبه ذلك مما يدعيه الكهنة والعرّافون والسحرة كلها من علوم الجاهلية التي حرمها الله ورسوله، ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها أو إتيان من يتعاطاها، وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك، لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به ". **(مجموع فتاوى ابن باز: 2/121)**

وقال في موضع ثالث:" ويدخل في ذلك ما يدّعيه بعض الناس باسم الطبّ من الأمور الغيبية، إذا شمّ عمامة المريض، أو خمار المريضة، أو نحو ذلك قال: هذا المريض، أو هذه المريضة فعل كذا، وصنع كذا، من أمور الغيب التي ليس في عمامة المريض ونحوها دلالة عليها، وإنما القصد من ذلك التلبيس على العامّة حتى يقولوا: إنه عارف بالطب، وعارف بأنواع المرض وأسبابه، وربما أعطاهم شيئًا من الأدوية فصادف الشفاء بقدر الله، فظنّوا أنه بأسباب دوائه، وربما كان المرض بأسباب بعض الجنّ والشياطين الذين يخدمون ذلك المدعى للطب، ويخبرونه عن بعض المغيبات التي يطلعون عليها، فيعتمد

على ذلك ويرضي الجنّ والشياطين بما يناسبهم من العبادة، فيرتفعون عن ذلك المريض، ويتركون ما قد تلبسوا به معه من الأذى- وهذا شيء معروف عن الجنّ والشياطين ومن يستخدمهم- فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك، والتواصي بتركه، والاعتماد على الله سبحانه، والتوكلّ عليه في كل الأمور"

اهـ. (**مجموع فتاوى ابن باز: 170/1**)

وذكر الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: أنّ من أتى الكاهن فسأله من غير أن يصدّقه فهذا محرّم، وعقوبة فاعله ألا تقبل له صلاة أربعين يومًا، كما دلّ عليه الحديث السابق. أما من أتى الكاهن فسأله وصدّقه بما أخبر به، فهذا كفر بالله ﷻ؛ لأنه صدّقه في دعوى علمه الغيب، وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب **لقوله تعالى**:﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ (النمل:**65**)

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم:" من أتى كاهنًا أو عرّافًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ". (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين:2/184)

وأخيرًا..... على كل مريض مهما كان مرضه أن يعتقد تمام الاعتقاد ويوقن تمام اليقين أن الشفاء ليس في الذهاب إلى الكهنة والعرافين والمشعوذين، إنما الشفاء من عند الله وأن الشافي على الحقيقة هو الله **قال تعالى**: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ**﴾ (الأنعام: **17**)

وقال الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ (الشعراء: **80**)

وكان من دعاء النبي ﷺ:" اللهم ربّ الناس مُذْهِب الباس، اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاءً لا يغادر سقمًا ". (البخاري)

وفي رواية أخرى عند البخاري أن النبي ﷺ كان يقول:" امسح الباس ربّ الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت ".

الأدب الخامس عشر: لا يطلب من أحد أن يرقيه:

وهذا من كمال التوكل على الله تعالى، ولعله يكون من جملة السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا سابقة عذاب.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" عُرِضتْ عليّ الأمم، فأخذ النبيُ يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا. ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم، لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عُكّاشة بن محصنٍ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة".

ملاحظات:

1– جاء في صحيح مسلم زيادة في بعض الروايات وهي قوله:" لا يرقون "وهذه الزيادة قد حكم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية بالشذوذ.

2– قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" الفتح: 257/10": المراد من قول النبي ﷺ بترك الرقى والكى" **لا يسترقون ولا يكتوون**" الاعتماد على الله في دفع الداء، والرضا بقدره لا القدح في جواز ذلك، لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح، لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطي الأسباب، وإلى هذا نحا الخطابي ومن تبعه، وقال ابن الأثير: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلائقها، وهؤلاء هم خواص الأولياء، ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبي ﷺ. فعلًا وأمرًا؛ لأنه كان في أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل، فكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز. اهـ

3– وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن المغيرة بن شعبةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل ". (حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه)

أي من اكتوى أو استرقى معتقدًا النفع في الكي أو الرقية لذاتها أو لذات الفاعل (الراقي).

قال المباركفوري نقلا عن المناوي: هذا فيمن عمل معتمدًا عليها، لا على الله ". (تحفة الأحوذي:214/6)

4- يشرع طلب غير المريض الرقية للمريض:

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم عن أم سلمة –رضي الله عنها –:" أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة[1]، فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة[2] ".

الأدب السادس عشر: لا يدعو على نفسه بالمعاقبة في الدنيا:

أخرج الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه:" أن رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خفت، فصار مثل الفرخ[3]، فقال رسول الله ﷺ: هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟ قال: نعم. كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فاجعله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه، أفلا قلت:" اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة[4] وقنا عذاب النار"، قال: فدعا الله فشفاه ".

وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة

وفيه: فضل الدعاء بـ **" اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".**

وفيه: جواز التعجب بقول سبحان الله. وفيه: استحباب عيادة المريض، والدعاء له،

وفيه: كراهة تمني الموت؛ لئلا يتضجر منه ويسخطه وربما شكا. اهـ **(شرح مسلم للنووي)**

تنبيه:

تبين لنا من خلال الحديث السابق: أن المريض إذا دعا فربما يوافق ساعة إجابة، فلا يدعُ إلا بالخير ولا يدعُ على نفسه، فقد حذر النبي ﷺ من هذا.

---

1. سفعة: هي سواد في الوجه، وقيل: حمرة يعلوها سواد، وقيل: صفرة، وقيل: سواد مع لون آخر، وقال ابن قتيبة: هي لون يخالف لون الوجه وقيل أخذه من الشيطان.

2. فإن بها النظرة: قيل: عين من نظر الجن، وقيل: من الإنس، وبه جزم أبو عبيد الهروي.

3- الفرخ: أي الضعف.

4 – في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة: أظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا: أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة: الجنة والمغفرة.

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:" لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خَدَمِكم، ولا تدعوا على أحوالكم، لا توافقوا من الله – تبارك وتعالى – ساعة نيلٍ فيها عطاءٌ فيستجيب عطاءً، فيستجيب لكم ".

الأدب السابع عشر: لا يتمنى الموت، أو يدعوَ به:

إذا اشتد على المريض المرض، وازداد عليه الألم، فلا يتمن الموت، ولا يدع به، فإن ذلك منهي عنه، وعمر المؤمن لا يزيده إلا خيرًا، إن كان محسنًا ازداد من الخير، وإن كان مسيئًا فإنه يقلع عن الذنب ويتوب منه.

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعلّه أن يَسْتَعْتِبَ ".

وفي لفظ مسلم:" لا يتمنَّ أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمّره إلا خيرًا ".

ومعنى" **يستعتب** ": أي يسترضي الله بالإقلاع والاستغفار. **(فتح الباري)**

وقيل:" **يستعتب** ": أي يرجع عن موجب العتب عليه.

وقد عاد النبي ﷺ عمه العباس ﷺ وهو مريض، فتمنّى العباس الموت، فقال له النبي ﷺ: يا عم! لا تتمنَّ الموت، فإنك إن كنت محسنًا، فإن تُؤَخَّر تزدد إحسانًا إلى إحسانك خير لك، وإن كنت مسيئًا فإن تُؤَخَّر فتُسْتَعْتَب من إساءتك خير لك، فلا تتمنَّ الموت. (رواه الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب: 3398)

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لن يدخل أحدًا عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا. ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته فسددوا وقاربوا، ولا يتمنينّ أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب".

قال الحافظ في الفتح: 136/10" في قول النبي ﷺ:" إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب " فيه إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمنى الموت والدعاء به هو انقطاع

العمل بالموت، فإن الحياة يتسبب منها العمل، والعمل يحصل زيادة الثواب، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال.

وسمع عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– رجلًا يتمنّى الموت، فقال:" لا تتمنّ الموت فإنك ميّت، لكن سلوا الله العافية " (الزهد لهناد: ص255)

- وأخرج البخاري عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: أتيت خبابًا ﷺ وقد اكتوى سبعًا، قال:" لولا أن سمعت رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به ".

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال:" لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به وفي رواية:

- من ضر أصابه – فإذا كان لابد فاعلًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي ".

وقوله:" فإن كان لابد فاعلًا ": فإن كان لابد متمنيًا الموت." **فليقل ":** وهذا يدل على أن النهي عن تمنى الموت مقيدًا بما إذا لم يكن على هذه الصيغة؛ لأن في التمني المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم، وفي هذه الصورة المأمور بها نوع تفويض وتسليم للقضاء.

قال النووي–رحمه الله– في شرح مسلم عند قول النبي:" لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه " فيه التصريح بكراهة تمنى الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضررًا في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه. اهـ

وكذا ذهب الحافظ ابن حجر في الفتح:128/10" فقال: وقوله:" **لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به** " حمله جماعة من السلف على الضر الدنيوي، فإن وجد الضر الأخروي؛ بإن يخشى فتنة في دينه لم يدخل في النهي، ويؤكد هذا ما جاء في رواية ابن حبان:" **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا ".**

وقال السعدى –رحمه الله– في شرحه لحديث أنس ﷺ السابق: هذا نهي عن تمني الموت، للضر الذي ينزل بالعبد: من مرض أو فقر أو خوف، أو وقوع في شدة ومهلكة، أو نحوها من الأشياء، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد **منها:** أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر والقيام بوظيفته. ومعلوم أن تمنى الموت ينافي ذلك.

ومنها: أنه يُضعف النفس، ويحدث الخَوَر والكسل، ويوقع في اليأس. والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور، والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به. وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها: أن تمني الموت جهل وحمق، فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت، فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه: من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها: أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيام بها، وبقية عمر المؤمن لا قيمة له، فكيف يتمنى انقطاع عملٍ. الذرّة منه خير من الدنيا وما عليها؟

وأخص من هذا العموم: قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه، فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب. **ولهذا قال في آخر الحديث: " فإن كان لابد فاعلًا فليقل:" اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيرًا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي "**. فيجعل العبد الأمر مفوضًا إلى ربه الذي يعلم ما فيه الخير والصلاح له، والذي يعلم من مصالح عبده ما لم يعلم العبد، ويريد له من الخير ما لا يريده (العبد لنفسه)، ويلطف به في بلائه، كما يلطف به في نعمائه. اهـ (**بهجة القلوب الأبرار ص208**)

والحاصل...

أن تمني الموت لضر لا يجوز، وإنما يقع فيه الجاهل لظنه أن ما بعد الموت أيسر مما هو منه.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: " إنما استراح من غفر له ".

الأدب الثامن عشر: أن يحسن الظن بالله تعالى:

أيها المريض... إذا طال بك المرض واستمرت بك الآلام فلا تسيئ الظنّ بربّك، وتعتقد أن الله – تعالى– أراد بك سوءًا، وأنه لا يريد معافاتك، وأنه ظالم لك، فإن ذلك جرم عظيم وخطر جسيم.

فالله سبحانه وتعالى منزّه عن الظلم، وهو الحكم العدل، بل هو الرحيم المتفضّل، **قال تعالى:**

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: 44). **وقال سبحانه:** ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: 40)

وفي الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم يقول الله ﷻ:" يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا ".

فما أصابك وما قدّره الله عليك هو عين العدل، كما في الدعاء الوارد عن النبى ﷺ:" ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك ". (أخرجه أحمد في مسنده)

واعلم أن الله عند ظنّك به، فإن ظننت به خيرًا حقق ذلك لك، وإن ظننت به سوءًا كان الله عند ظنّك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني ".

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن حَيَّانَ أبي النضر قال:" خرجت عائدًا ليزيدَ بن الأسود، فلقيتُ واثلةُ بن الأسقع وهو يريدُ عيادتَهُ، فدخلنا عليه، فلما رأي واثلةَ بَسَطَ يَدَهُ وجعل يشيرُ إليه، فأقبل واثلةُ حتى جلس، فأخذ يزيد بكفيْ واثلةَ فجعلهما على وجهه، فقال له واثلةُ: كيف ظَنَّكَ بالله؟ فقال: ظني بالله واللهِ حَسَنٌ، قال واثلةُ: فأبشر، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" قال الله ﷻ: أنا عند حُسن ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فَلَهُ، وإن ظَنَ شَرًا فَلَهُ ". (قال الألباني سنده صحيح، انظر الصحيحة:25/4)

قال ابن الجوزي–رحمه الله– في قوله تعالى:" أنا عند حُسن ظن عبدي بي ". "أي: في الرجاء وأمل العفو".

– وفي رواية:" أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء ". (رواه أحمد والطبراني)

وله شاهد في الحديث السابق:" أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنّ خيرًا فله، وإن ظنّ شرًا فله ".

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في الجواب الكافي ص:36:" يعنى ما كان في ظنّه فإني فاعله به".

يقول سهل القطعي:" رأيت مالك بن دينار–رحمه الله– في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري ماذا قدمت به على الله ﷻ؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة فمحاها عني حسن الظن بالله".(حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص96)

- **وحسن الظنّ بالله تعالى هو عبادة وقربة إلى الله تعالى.**

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إنَّ حسن الظنّ من حسن العبادة ".

قال ملا على القاري–رحمه الله –:" المعنى أن حسن الظنّ به تعالى من جملة العبادات الحسنة ". **(المرقاة: 779/8)**

فاجعل أيها المريض حسن الظن بالله شعارك، ودثارك، وقوِ به رجاءك.

وقد أمر النبي ﷺ بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال:" لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ".

– قال النووي–رحمه الله– في شرحه على مسلم: 28/17" قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، ومعنى حسن الظنّ بالله تعالى أن يظنّ أنه يرحمه ويعفو عنه.

وقال العلماء: ومعنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا، وإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعة وصالح الأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحالة، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له ". اهـ

– جاء في كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص92 عن عبد الله بن المبارك –رحمه الله– قال:

جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فبكيت: فالتفت إليّ، فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم ".

وقال بعض الشعراء:

إذا ابتليتَ فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لمرئ حيلة فيما قضى الله

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه لا تيأسن فإن الصانع الله

(أدب الدنيا والدين ص469)

وللعلامة ابن القيم – رحمه الله – كلام قيّم حول إساءة الظنّ بالله ووجوب التوبة منه، إليك طرفًا منه. قال –رحمه الله –:" أكثر الخلق، بل كلهم ـ إلا من شاء الله ـ يظنون بالله غير الحق ظنّ السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، **ولسان حاله يقول:** ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتّش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزّناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتبًا على القدر وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك.

فإن تنجُ منها تنج من ذي عظيمةٍ وإلا فإني لا إخالُك ناجيًا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى وليستغفره كلّ وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظنَّ السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السّوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد، الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته، وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تَظْنُنْ بربّك ظــن ســوءٍ ... فــإن الله أولــى بــالجميــل

ولا تظنن نفسك قــطّ خــيرًا ... وكيف بظــالمٍ جــانٍ جهــول

وقل يا نفس مأوى كل ســوءٍ ... أيُرجى الخير مــن ميتٍ بخيــل

وظــنّ بنفسك السّوء تجدهــا ... كــذاك وخـــيرها كالمستحيــل

وما بك مـن تقى فيها وخـيرٍ ... فتلك مــواهب الــرّب الجليــل

وليس بهــا ولا منهــا ولكن ... مــن الرحمــن فاشكــر للدّليل

اهـ. (زاد المعاد:3/235)

وحق على العبد أن يظن بربه خيرًا، وأن ينتظر منه فضلًا، وأن يرجو من مولاه لطفًا، فإن من أمره في كلمة "كُن"، جديرٌ أن يوثق بموعوده، وأن يتعلق بعهوده، فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضرّ إلا هو، وله في كل نفس لطفٌ، وفي كل حركة حكمةٌ، وفي كل ساعة فرجٌ، جعل بعد الليل صبحًا، وبعد القحط غيثًا، يُعطي ليُشكر، ويَبتلي ليعلم من صبر، يمنح النعماء ليسمع الثناء، يُسلِّط البلاء ليُرفع إليه الدعاء، فحريٌّ بالعبد أن يقوي معه الاتصال، ويمد إليه الحبال، ويكثر السؤال، **قال تعالى**: ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾(النساء:32) وقال تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف:55) (لا تحزن ص 345 بتصرف)

ومن المعلوم أن من أحسن الظن بالله فإنه سيحب لقاءه، ومن أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبادةَ بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال:" من أحبَّ لقاءَ الله أحب الله لقاءَهُ، ومن كره لقاءَ الله كرِهَ اللهَ لقاءَه ".

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله ﷻ: إذا أحب عبدي لقائي أحببتُ لقاءهُ وإذا كرِهَ لقائِي كرِهتُ لقاءه ".

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" من أحَبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءهُ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءَهُ، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكُلُّنَا نَكْرهُ الموت. قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاءَ الله فأحَبَّ اللهُ لقاءهُ، وإن الكافرَ إذا بشر بعذابِ الله وسخطِهِ كرِهَ لقاء الله وكرِه الله لقاءهُ ".

الأدب التاسع عشر: إياك واليأس والقنوط من رحمة الله:

أخي المريض... إياك والقنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ (الحجر: 56)

وقد ورد الوعيد في حق من قنط من رحمة الله أو شك في أمر الله

فقد أخرج الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينازع الله إزاره، ورجل ينازعُ الله رداءه، فإن رداءه الكبرياء، وإزاره العِزُّ، ورجل في شكّ من أمر الله، والقنوط من رحمة الله ".(صحيح الجامع:3059) (الصحيحة:542)

أخي المريض... لا تيأس من الشفاء مهما طال بك المرض واشتد، ومهما كان نوع مرضك، وانتظر الفرج، فالفرج مع الكرب، ومع العسر يسر والبلايا لها انكشاف بإذن الله.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (الشورى: 28)

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: 5،6) فلن يغلب عسرٌ يسرين.

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس –رضي الله عنها – قال، قال رسول الله ﷺ:" واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا ".

قال ابن رجب –رحمه الله– كما في "جامع العلوم والحكم ص:196":" من لطائف اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، وحصل للعبد اليأس في كشفه من جهة المخلوقين، تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أكبر الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق:3)

قال الفضيل–رحمه الله–:"والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد ".

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي رزين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره[1]" قال: قلت: يا رسول الله، أوَ يضحك الرب؟ قال:" نعم "، قلت: لن نعدم من ربّ يضحك خيرًا. – وفي رواية:"يشرف عليكم أزلين[2] مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قرب " (رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير)

ولهذا نجد الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– مجانبين لليأس مهما اشتدت بهم الأمور.

فهذا نبيّ الله يعقوب عليه السلام يقول بعد دهر طويل من فراقه ليوسف عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: 87)

فمنّ الله عليه بأن جمعه بيوسف وأخيه بعد فراق طويل.

وهذا نبيّ الله أيوب عليه السلام مكث في بلائه ومرضه ثمانية عشر عامًا، ولم ييأس من الشفاء، ودعا ربّه كما حكى الله عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فكان فرج الله قريبًا، قال تعالى:﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 84،83)

وهناك حوادث كثيرة جدًا تدل على وقوع الفرج بعد الشدّة، منها إنجاء الله نوحًا عليه السلام وإغراق قومه الكافرين، وإنجاء إبراهيم عليه السلام من النار، وفداء ولده إسماعيل، وإنجاء موسى عليه السلام وإغراق فرعون وقومه، وإنجاء يونس عليه السلام من بطن الحوت، ورفع عيسى عليه السلام إلى ربّه، ومحمد ﷺ في وقائع كثيرة كقصته في الغار، ويوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، في حوادث كثيرة من هذا الباب.

(الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: 19–23)

فلا تجزع بل استعن بالصبر والصلاة، فكل نبأ له مستقر، وكل دنيانا ستزول وتنتهي، فاخرج من الاختبار موفقًا صابرًا.

1– وقوله:" غيره " الغير: تغيّر الحال وانتقالها إلى حال أخرى. (النهاية:401/3)، (اللسان:40/5).

2– وقوله: " أزلين " الأزل: الشدة والضيق، أي أنكم في ضيق وشدة ويأس. (النهاية:46/1)

قال إبراهيم الصولي –رحمه الله –:

ولرّب نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنّها لا تفرج

(وفيات الأعيان:46/1)

وقال عبيد بن الأبرص:

اصبر النفس عند كلّ مهمّ إن في الصبر حيلة المحتال

ربّما تجزع النفوس من الأمر له فرجةٌ كحــل العقــال[1]

(مجموعة المعاني لعبد السلام هارون:2 /623)

الأدب العشرون: لا يشكو الله إلى خلقه، فيشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم:

فليحذر العاقل من أن يشكو ربه أرحم الراحمين إلى خلقه، فهذا من جهله بربه وجهله بالناس

يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في كتابه الفوائد ص 79: الجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذه غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنه لو عرف رَبَّه لما شكاه، ولو عرف الناسَ لما شكا إليهم.

فعليك أخي المريض بأن لا تشكو الله – سبحانه – إلى المخلوقين، واجعل شكواك إلى الله ﷻ، فهو أرحم بك من نفسك ومن الناس أجمعين، وهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الذي أنزل بك المرض، وهو القادر على رفعه وإزالته.

قال ابن القيم–رحمه الله–:" والشكوى إلى الله ﷻ لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل مع أنه عليه السلام **قال**: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ (**يوسف: 86**) وكذلك أيوب عليه السلام أخبر الله عنه أنه وجده صابرًا، مع قوله عليه السلام:﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:83)

1– العقال: الرباط الذي يعقل به، وهو حبل تثنى به يد البعير إلى ركبته. (لسان العرب :459/11).

وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، وقد رأي أحد السلف رجلًا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!! ثم أنشد:

وإذا اعترتك بلية فاصبر لهـــا صبر الكـريم، فإنـه بك أرحـم

وإذا شكـوت إلى ابن آدم إنمـا تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

(مدارج السالكين:161/2)

وقد التزم سلفنا الصالح هذا الأدب، فكانوا يكتمون ما أصابهم، ولا يشكون مولاهم إلى خلقه.

– فهذا داود الطائي– رحمه الله– يدخل عليه رجل وهو على فراشه، فرآه يزحف، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال داود: مه[1]، لا تُعلم بهذا أحدًا. وقد أُقعِد[2] قبل ذلك بأربعة أشهر لم يعلم بذلك أحد. **(تسلية أهل المصائب ص:216) (سير أعلام النبلاء:92/4)**

– وقال الأحنف بن قيس:" أصبحت يومًا أشتكي ضرسي، فقلت لعمّي: ما نمت البارحة من وجع الضرس، حتى قلتها ثلاثًا. فقال: لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد ". **(الأحياء:133/4)**

– ولما نزل في إحدى عيني عطاء – رحمه الله – الماء، مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يومًا من قبل عينه التي أصيب فيها، فلم يشعر به، فعلم أن أباه قد أصيب **(تسلية أهل المصائب ص215)**

– وقال سيّار بن سلامة –رحمه الله–:" دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه، فقال: إن أحبَّه إليّ أحبُّه إلى الله ﷻ ".

– وكان خالد الربعي –رحمه الله– لا يشكو ما يجد إلى أحد، فاشتكى فأصابته ذات الجنب، فذهب ينخاع فانخاع دمًا، فأنّ عندها، وكان لا يئن من وجع فاستدركها فقال: إلهي، ما هذا جزاؤك عندي أن أئِن على وجعٍ ابتليتني به ". **سبحان الله!! يستحى أن يئن لئلا يكون أنينه هذا شكوى.**

– وهكذا حدث مع الإمام أحمد – إمام أهل السنة والجماعة– كان يئن في مرضه الذي مات فيه، فبلغه حديث عن طاووس أن كل شيء يكتب حتى الأنين فما أَنَّ حتى مات – رحمة الله عليه – .

1– مه: أي: كفّ عن الحديث وهي كلمة زجر ونهي. (تهذيب اللغة:384/5).

2– أُقعِد: أي: صار مقعدًا لا حراك به بسبب المرض. (تهذيب اللغة:204/1).

– قال بعض الفقهاء:" من الصبر ألا تحدّث بمصيبتك ولا وجعك ولا تزكى نفسك ".

– وقد ورد في فضل الإمساك عن الشكوى لغير الله كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله تعالى: " إذا ابتليت عبدي المؤمن، فلم يشكني إلى عوّاده أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل ".(صحيح الجامع: 4301)

تنبيهان:

1– إخبار المريض بمرضه لا على سبيل الشكوى، وإنما إجابة لسؤال من سأل عن حاله؟ أو إخبار الطبيب، أومن يرجو أن يدله على الدواء، فهذا جائز ولا ينافي الصبر، **فإن النبي ﷺ قال لابن مسعود ﷺ كما في صحيح البخاري:" إني أوعك كما يوعك رجلان منكم ".**

ولما قالت عائشة –رضي الله عنها –: وارأساه!! قال: " بل أنا، وارأساه ". (رواه البخاري)

وقال البخاري –رحمه الله– كما جاء في" فتح الباري 10/123": باب ما رخّص للمريض أن يقول:

" إني وجع " أو " وارأساه " أو " اشتد بي الوجع "، ثم ساق أحاديث تشهد لذلك، منها حديث ابن مسعود وحديث عائشة السابقان.

2– يستحب للمريض إذا سئل عن حاله أن يبدأ أولًا بحمد الله تعالى، ثم يبين حاله بعد ذلك.

فقد قال ابن مفلح –رحمه الله –:" ويخبر بما يجده بلا شكوى، وكان الإمام أحمد –رحمه الله– يحمد الله أولًا، **لخبر ابن مسعود ﷺ:" إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك ". (الفروع: 176/2)**

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في عدة الصابرين صـ107:" إذا حمد المريض الله ثم أخبر بعلته لم يكن شكوى منه، وإن أخبر بها تبرّمًا وتسخطًا كان شكوى منه ".

الأدب الحادي والعشرون: لا يتحسر وييأس على ما فاته من حظوظ الدنيا أثناء المرض:

فنقول لكل مريض: إذا كان مرضك سبّب لك فوات حظّ من حظوظ الدنيا من منصب أو مال، أو غير ذلك فلا تأس عليه ولا تكترث به، فإن الدنيا بأجمعها لا تستحق الحزن لفقدها، فإنها حقيرة عند موجدها وخالقها. **قال سبحانه وتعالى:**

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الحديد: 20)

وأخرج الإمام مسلم عن المستورد بن شداد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليمّ[1]، فلينظر بم يرجع ".

ومعناه – كما قال النووي –رحمه الله – كما في شرح مسلم: 199/17" " ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذّاتها ودوام الآخرة، ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر ".

وأخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ:" أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلًا من بعض العالية، والناس كَنَفَتَيه[2] فمرّ بجدى أَسَكّ[3] ميت. فتناوله فأخذه بأذنه، ثم قال:"أيكم يحبّ أن هذا له بدرهم؟ " فقالوا: ما نحبّ أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟! قال:"أتحبون أنه لكم؟ " قالوا: والله، لو كان حيًا كان عيبًا فيه لأنه أَسَكّ، فكيف وهو ميت؟!! فقال: " فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم ".

وأخرج الترمذي عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لو كانت الدنيا تَعدل عند الله جناحَ بعُوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء ". (صحيح الجامع:5292)

1– اليمّ: البحر. (النهاية:300/5).

2– كنفتيه: أي جانبيه.

3 – أسكّ: صغير الأذنين.

ثم مما يدفع عنك القلق المتعلق بالرزق، علمك بأنه مضمون لا ينتقص منه شيء بسبب من الأسباب، وأن الله قد تكفّل برزق العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: 58)

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: 6

وقد قدّر لك نصيبك من الرزق وأنت في بطن أمك قبل نفخ الروح فيك.

فقد أخرج البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:" إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة[1] مثل ذلك، ثم يكون مضغة[2] مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا بأربع كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقى أم سعيد. ثم ينفخ فيه الروح ".

وأخرج البزار عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله ". وفي رواية:" أكثر مما يطلبُهُ أجلهُ ". (هذا اللفظ عند الطبراني، وهو في صحيح الجامع:1630)

وأخرج ابن حبان والحاكم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تستبطئوا الرزق، فإنه لن يكن عبدٌ ليموت حتى يبلغهُ آخرُ رزقٍ هو له، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب: أخذِ الحلال، وتركِ الحرام ". (صحيح الجامع:7323)

1- العلقة: الدم الجامد الغليظ. (تهذيب اللغة: 243/1)

2- المضغة: القطعة من اللحم، قدر ما يُمضغ (النهاية:339/4)

الأدب الثاني والعشرون: على المريض التضرع إلى الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (الأعراف: 94)

فالله ﷻ يبتلي المرء وهو يحبه حتى يتضرع إليه ويرجوه ويسأله ويرجع إليه.

قال كُرْدُوسٍ الثعلبي –رحمه الله–:" وجدت في الإنجيل إذ كنت أقرأه: إن الله ليصيب العبدَ بالأمرِ يكرهه وإنه ليحبُّه، لينظر كيف تَضَرُّعُهُ إليه ".

وقال ابن جرير الطبري–رحمه الله– في تفسيره:7/ 192": عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (الأنعام: 42): فامتحناهم ﴿بالبَأْسَاء﴾ وهي شدّة الفقر والضيق في المعيشة، و ﴿الضَّرّاء﴾ وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يقول: فعلنا ذلك بهم، ليتضرّعوا إليّ، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم إليّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليّ بالإنابة.

ولقد ذم الله ﷻ أقوامًا ابتلاهم بالعذاب حتى يرجعوا ويتضرعوا إليه، فيرفع عنهم العذاب ويتوب عليهم إلا إنهم أبوا إلا المعصية والاستنكاف عن الرجوع.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: 76)

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 43)

فالابتلاء من مرض وغيره ينزل ويحل بالعبد لعله يرجع إلى الله تعالى ويتضرع إليه، **قال تعالى:** ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: 48) فكل هذه آيات دالة على أن الابتلاءات تأتي كثيرًا لإرجاع الناس إلى ربهم وإلى طريقه المستقيم، وذلك واضح من **قوله تعالى:** ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ – لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ – لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ – لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لكن ينتفع بذلك من رزقه الله الفهم والفقه.

الأدب الثالث العشرون: احرص على وقتك، واملأه بطـــاعة الله ولا تقطعه بـالمعاصي:

أخي المريض... عليك أن تحفظ وقتك بما ينفعك ويقرِّبك إلى ربك–جل وعلا–على قدر استطاعتك، فأكثر ما استطعت من الصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الله ﷻ ودعائه، واستغفاره، واستمع إلى الشريط النافع، واقرأ في الكتب المفيدة، فلديك وقت طويل تتمكن في خلاله من القيام بكثير من الأعمال التي تتطلب وقتًا. وبهذا الصنيع تحصل على الأجر العظيم، وتطرد عنك وساوس الشيطان الرجيم، وتستجلب انشراح الصدر وطمأنينة القلب، وتملأ فراغك بما يعود عليك بالنفع.

وعليك أن تبتعد عن المحرّمات صغيرها وكبيرها، فأنت في هذه الحال أحوج ما تكون إلى رضا ربك واستجلاب مغفرته ورحمته، وليس من اللائق أن ترجو نزول الشفاء ممن يصعد إليه منك السيئ.

فطهِّر بصرك من النظر إلى ما حرّم الله عليك سواء على الطبيعة، أو عبر الأجهزة المرئية، أو على صفحات الجرائد والمجلاّت. وطهِّر سمعك من الاستماع إلى المحرمات من الأغاني الماجنة أو الموسيقى أو الغيبة..... وغير ذلك.

وطهِّر لسانك من القول المحرّم من التسخّط على الله أو شكواه إلى خلقه، أو الغيبة، أو الشتم واللعن، أو غير ذلك. وابتعد عن التدخين وشرب المسكر وسائر المحرمات.

وهكذا ينبغي أن يكون حال كل مريض، أن يستشعر قرب الآخرة ويجعلها تملأ قلبه، ويستشعر قرب لقاء ربه، ويُخرِجُ الدنيا من قلبه وعقله فإنها لا تساوي عند الله جناح بعوضه.

عن ثابت ﷺ قال:"دخلنا على ربيعة بن الحارث نعوده وهو ثقيل (مريض مرضًا شديدًا) فقال: إنه من كان في مثل حالي هذه ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينيه من ذباب ".

قال الإمام النووي –رحمه الله–: ينبغي على المريض أن يحرص على تحسين خلقه، وأن يجتنب المخاصمة والمنازعة في أمر الدنيا، وأن يستحضر في ذهنه أن هذا آخر أوقاته في دار الأعمال فيختمها بخير، وأن يستحلّ[1] زوجته وأولاده وسائر أهله وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينهم معاملة أو مصاحبة أو تعلق، ويرضيهم. وأن يتعاهد نفسه بقراءة القرآن والذكر وحكايات الصالحين وأحوالهم عند الموت. وأن يحافظ على الصلوات واجتناب النجاسة وغيرهما من وظائف الدين، ولا يقبل قول من يخذله عن ذلك، فإن هذا مما يبتلى به، وهذا المخذل هو الصديق الجاهل،

[1]– يستحل: أي: يطلب التحلل من المظالم.

والعدو الخفي، وأن يوصي أهله بالصبر عليه وبترك النوح عليه، وكذا يعني ترك إكثار البكاء، ويوصيهم بترك ما جرت العادة به من البدع في الجنائز، وبتعاهده بالدعاء. **(المجموع للنووي: 118/5)**

تنبيه: على الإنسان منا أن يحافظ على أوقاته صحيحًا كان أو مريضًا، فالأنفاس نفيسة، لا عدل منها ولا خلف لها، وإذا كان الإنسان حال صحته مجتهدًا في طاعة الله محافظًا على أوقاته، ثم حبسه المرض فإن من فضل الله تعالى عليه أن يجري عليه ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ليس من عمل يومٍ إلا وهو يختم عليه، فإذا مرضَ المؤمنُ قالت الملائكة: يا ربنا! عبدُك فلانٌ قد حبستَهُ، فيقول الربُّ: اختموا له على مثل عملهِ حتى يبرأ، أو يموت ". (صحيح الجامع: 5432)

فعلى المريض أن يكثر من التوبة والذكر والاستغفار، فربما كانت هذه آخر لحظاته في الحياة فيختمها بخير.

عن أبي محمد الحريري قال:" حضرتُ عند الجنيد قبل وفاته بساعتين: فلم يزل تاليًا وساجدًا، فقلت له: يا أبا القاسم قد بلغ ما أرى من الجهد، فقال: يا أبا محمد أحوج ما كنتُ إليه هذه الساعة، فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا ".

فعلى الإنسان أن يجتهد في مثل هذه الأوقات، فالشيطان أشد ما يكون على الإنسان في مثل هذه الأوقات (عند مفارقة الحياة)، وقد رُوي أن إبليس لا يكون في حال أشد منه على ابن آدم إلا عند الموت يقول لأعوانه: دونكموه [1] فإنه إن فاتكم اليوم، لم تلحقوه ".

وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: حين احتضر أبي جعل يكثر أن يقول: لا بعد، لا بعد، فقلت: يا أبي ما هذه اللفظة التي تلهج بها في هذه الساعة؟ فقال: يا بني. إن إبليس واقف في زاوية البيت وهو عاضٌّ على إصبعه وهو يقول: فُتَّني يا أحمد؟ فأقول: لا بعد.

يعني لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد:" قال إبليس: يا رب. وعزتك وجلالك ما أزال أغويهم مادامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني ". (البداية والنهاية لابن كثير: 321/10)

1- دونكموه: أي لا تتركوه حتى تفتنوه.

الأدب الرابع والعشرون: عليك بقيام الليل بقدر استطاعتك:

فإن قيام الليل سبب من أسباب الشفاء بإذن الله تعالى.

فقد أخرج الترمذي والإمام أحمد من حديث بلال ﷺ أن النبي ﷺ قال:" عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقُربةٌ إلى الله تعالى، ومنهاةٌ عن الإثم، وتكفير للسَّيِّئات، ومطردةٌ للداءِ عن الجسد".

الأدب الخامس والعشرون: عليك بالإكثار من الصدقة:

فقد أخرج الطبراني في الكبير بسند حسن من حديث أبي أُمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" داووا مرضاكم بالصدقة ". (رواه أبو الشيخ في الثواب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: 3358)

وأخرج البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" فتنة الرجل في أهله وماله، ونفسه وولده وجاره، يُكفِّرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في الوابل الصيب ص: 45:" فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت مِن فاجر أو ظالم، بل من كافر، فإن الله يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمرٌ معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقرُّون به لأنهم جرَّبوه" . اهـ

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في" زاد المعاد:10/4":" ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم تهتدِ إليها عقولُ أكابر الأطباء، ولم تصِلْ إليها علومُهُم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب، واعتماده على الله والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له، والصدقة والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه، وقد جرَّبنا نحن وغيرنا من هذا أمورًا كثيرة ورأيناها تفعل مالا تفعل الأدوية الحسية. اهـ

وقد جاء في صحيح الترغيب والترهيب عن الإمام المحدث البيهقي –رحمه الله– أنه قال:" قرح وجه شيخنا الحاكم أبي عبد الله وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب، وبقيت القرح فيه قريبًا من سنة،

فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا له وأكثر الناس التأمين، فلما كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة، فرأت في منامها رسول الله ﷺ كأنه يقول لها: قولي لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين، فجئ بالرقعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بُنيت على باب داره، وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وأخذ الناس في الشرب، فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين.

جاء في" سير أعلام النبلاء:407/8": أن رجلًا سأل عبد الله بن المبارك –رحمه الله– عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج وسأل الأطباء فلم ينتفع، فقال له ابن المبارك: اذهب واحفر بئرًا في مكان يحتاج الناس فيه إلى الماء، فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل ذلك فشفاه الله تعالى.

نصائح وتوجيهات لمن تصدق وأراد أن يرى ثمرة الصدقة وأثرها لدفع البلاء

1– أن تكون الصدقة من طيب المال فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة:267)

2– إخراج الصدقة بنية الشفاء:

فقد أخرج البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنما الأعمال بالنِّيات وإنما لكل امرئ ما نوى ".

3– اجعل الصدقة خالصة لوجه الله تعالى:

فكلما كان العمل أكمل وأعظم إخلاصًا لله تعالى كلما كان ثوابه وثمرته أكمل وأعظم **وتذكر حديث النبي ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ".**

4– حاول جاهدًا أن تصل الصدقة لمن كان محتاجًا وموصوفًا بالتقوى:

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي وأبو داود أن النبي ﷺ قال:" لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي ".

5- عند التصدق بنية الشفاء لا تقل: (سأجَرِّب):

بل كن جازمًا موقنًا واثقًا بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ سيشفيك ولا تستعجل النتيجة، ولا تقنط ولا تيأس من رحمة الله، بل كن واثقًا بالله فهو الشافي النافع الكريم الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، فأحسن الظن بالله وأنه سيشفيك، فالله عند حسن ظن عبده به، ولن يُخذل الله أبدًا عبده، فأحسن الظن بالله.

6- إن لم تر نتيجة لشفاء بعد الصدقة – وهذا ربما يحدث – فتصدق مرة أخرى وكرر هذا ولا تقنط:

وكن على تمام الثقة أن صدقتك لن تضيع أبدًا فهي محفوظة عند من لا يضل ولا ينسى – سبحانه وتعالى – وإن لم يكتب الله لك الشفاء فاعلم أن هذا لحكمة يعلمها الملك ـ سبحانه وتعالى ـ فربما لا يشفيك حتى يخلصك من ذنوب عليك، أو أنه سبحانه كتب لك درجة في الجنَّة لا تبلغها إلا بهذا البلاء فيشدد عليك حتى تصل إلى هذه الدرجة

7- وأخيرًا... إن شفاك الله وأبدلك سراء بعد ضراء فتوجه إليه بالشكر والحمد:

وذلك حتى يمن عليك بمزيد من الرحمة والعافية فقد وعد الله بالزيادة لمن شكره **فقال تعالى:**

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم:7)

والله أسأل أن يشفي كل مريض شفاءَ لا يغادر سقمًا، وأن يجعل ما أصابه تكفيرًا لسيئاته ورفعةً لدرجاته وحجابًا من النار.

الأدب السادس والعشرون: عليك بكثرة الذكر:

فالذكر عبادة لا يُعذر أحدٌ بتركها إلا مغلوبٌ على عقله.

يقول ابن عباس–رضي الله عنهما–:" لم يفرض الله تعالى فرضية على عباده إلا جعل لها حدًا معلومًا وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدًا ينتهي إليه ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال ".

وكان بعض السلف يقول بعدما أقعده المرض ولا يستطيع الحراك:" الحمد لله الذي وهبني قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا ".

– فليحرص المريض على الذكر عامة وعلى هذا الذكر خاصة.

والذي أخبر عنه النبي كما عند الترمذي وحسنه الشيخ الألباني من حديث أبي سعيد وأبي هريرة –رضي الله عنهما– أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:" من قال: لا إله إلا الله والله أكبر صَدّقَهُ رَبُّهُ فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، فإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: يقول الله: لا إله إلا أنا وَحْدي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: يقول الله: صدق عبدي: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكِ وله الحمد، قال: يقول: لا إله إلا أنا لي المُلكُ وَلي الحمدُ، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي، وكان يقول: "من قالها في مرضه ثم مات لم تَطْعَمْهُ النار ". (صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي)

الأدب السابع والعشرون: أكثر من الـدعـــــاء:

المرض نازل بالعبد بقدر من الله تعالى كما تقدّم بيانه، وهو القادر على رفعه، فمنه البلاء ومنه العافية – جل وعلا – قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام:﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: 80)

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري أن الحبيب النبي ﷺ كان يقول: "اللهم ربَّ الناس مُذهب البأس اشفِ أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا ".

فعلى المريض أن يتوجه بكُليته إلى من بيده الشفاء ورفع البلاء (مع الأخذ بالأسباب) فالعبد يكثر من الدعاء في الشدائد لحاجته وفقره إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء: 67)

فلا يتعلق المريض في هذه الحالة بالأنداد والشركاء والأولياء، وإنما يتعلق بالله وحده، فيعلم أنه الحق وأنه المستحق لهذا التوجه والدعاء.

أيها المريض... ألم يخطر ببالك أن الله ربما أصابك بهذا المرض ليسمع صوتك وأنت تدعوه؟ ويرى فقرك وأنت ترجوه؟

فمن فوائد المصائب: استخراج مكنون العبودية في الدعاء، فسبحانه يبتلي ليُدْعى، فإذا دُعِي أجاب،

وفي الأثر: أن الله ﷻ ابتلى عبدًا من عباده، وقال للملائكة لأسمع صوته (يعني بالدعاء والإلحاح)

وصدق من قال: ربما صحت الأجساد بالعلل.

فارفع يديك، وأَسِل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بذلّك وضعفك

جاء في" كتاب الشكر ص: 132 عن وهب بن منبه –رحمه الله– قال:" ينزل البلاء ليستخرج الدعاء ".

وقال سفيان بن عيينة –رحمه الله–:" ما يكره العبد خير له مما يحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه ". **(الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص22)**

فعليك أخي المريض بالدعاء والتضرع إلى الله – سبحانه وتعالى– في أن يشفيك ويرفع ما أنزل بك، وهو سبحانه قريب مجيب، يحب من عباده أن يسألوه، ويثيبهم على سؤالهم بالإجابة وبالثواب العظيم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186)، **وقال تعالى**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:60) **(الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا)**

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 84،83)

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: 62)

وجاء في السنة أحاديث كثيرة تدلّ على أن الله تعالى قريب مُجيب، حيي كريم، يجيب دعاء الداعين، وينفِّس كرب المكروبين. ويرفع البلاء عن المبتلين، لكن هناك مقصدًا آخر من الدعاء هو الخضوع والتذلل لله تعالى، فهو عبادة وترك الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالًا على ما قُدِّرَ، فيلزم ترك العمل جُملة.

واعلم أخي المريض أن الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفعه بعد نزوله.

أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" الدعاء ينفع مما نزل وممَّا لم ينزل، فعليكم عبادَ اللهِ بالدعاءِ ". (حسنه الألباني في صحيح الجامع:3409، وصحيح الترمذي: 2813)

أخرج الترمذي عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر ". (صحيح الجامع: 7687)

وأخرج أحمد وابن ماجه والحاكم عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يردّ القدر إلا الدعاء، وإن الرجل لَيُحرم الرزق بالذنب يصيبه ".

قال الغزالي –رحمه الله– في" إحياء علوم الدين: 328/1": " فإن قلت: ما فائدة الدعاء، والقضاء لا مردّ له؟ فاعلم أن من القضاء ردّ البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن التُرس سبب لردّ السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –:" الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أُمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق... والله أعلم. **(الفتاوى:193/8)**

ومما يدل على أن الدعاء يرفع الوباء والبلاء:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال النبي ﷺ:" اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مُدِّنا وصاعنا[1]".

وفي رواية:" اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها لنا، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجحفة ".

---

1 – الصاع: أربعة أمداد.

قال الخطابي-رحمه الله- وغيره:" كان ساكنو الجحفة في ذلك الوقت يهودًا ".

وقال ابن القيم -رحمه الله- كما في" كتابه الجواب الكافي ص: 17: والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن[1] وله مع البلاء ثلاث مقامات: **أحدها**: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه. **الثاني**: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يُخفّفه وإن كان ضعيفًا. **الثالث**: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه ". اهـ.

أخرج الحاكم من حديث عائشة-رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال:" لا يُغني حذرٌ من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزلُ فيتلقاهُ الدعاء فيعتلجان[2] إلى يوم القيامة". (صحيح الجامع: 7739)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" يُستَجَابُ لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: دعوتُ ربي فلم يستَجِبْ لي ".

وفي رواية عند مسلم:" لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم – ما لم يستعجل- قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فَيَسْتَحْسِر عند ذلك ويَدَع الدعاء ".

- **قوله:" يقول دعوت فلم يستجب لي " قال ابن بطال -رحمه الله-**: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء، فيكون كالمانّ بدعائه. **(فتح الباري: 140/11)**

وقال ابن حجر-رحمه الله- كما في فتح الباري: " معنى "**يستحسر**": ينقطع. وفي الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار. اهـ.

وقال ابن القيم -رحمه الله- كما في" الجواب الكافي ص 19": ومن الآفات التي تمنع ترتّب أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فَيَسْتَحْسِر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله. فالمؤمن الحق ربما

1- حديث: " الدعاء سلاح المؤمن " حديث ضعيف رواه أبو يعلى، وهي مأثورة عن الفضيل بن عياض.

2- يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان.

يبالغ في الدعاء ويُكثر منه، لكن لا يرى له أثرًا، ومع هذا لا يتغير أمله ورجاؤه ويلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، والمطلوب هو الصبر والتسليم في جميع الأحوال، فربما لم يستجب الله له لينظر كيف صبره، أو أنه يريد منه أن يكثر التضرع واللجوء إليه ومناجاته، فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقًا على ربه، وربما يترك الدعاء إذا تأخرت الإجابة فيكون كالمنان على ربه. فها هو يعقوب عليه السلام: بقى سنين في البلاء ورجاؤه لا يتغير، فقد يوسف وبعد سنين يفقد بنيامين ومع ذلك لم يتغير أمله ورجاؤه في الله، **فقال:** ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ **(يوسف: 83)**

فلا تيأس أيها المريض من روح الله وإن طال البلاء، وعليك بملازمة الصبر وكثرة الدعاء. والله أسأل أن يزيل همك ويكشف كربك ويشفيك شفاء لا يغادر سقمًا، آمين..... يا أرحم الراحمين.

وأخرج الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إيّاه، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم: إذن نكثر [1]!! قال: الله أكثر [2] ".

وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذن نكثر!! قال: الله أكثر ".

قال ابن حجر–رحمه الله – كما في" فتح الباري:95/11":" كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه " ثم ذكر الحديثين السابقين ".

وقال ابن الجوزي –رحمه الله–:" اعلم أن دعاء المؤمن لا يردّ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوّض بما هو أولى له عاجلًا أو آجلًا ". **(فتح الباري: 141/11)**

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:" إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه ". (فتاوى ابن تيمية: 193/8)

1– نكثر: أي من الدعاء.

2– الله أكثر: أي أكثر إحسانًا مما تسألون، أو سبحانه أكثر إجابة.

قال ابن القيم –رحمه الله– في كتابه الجواب الكافي ص27:" وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفيك ما عوّدتني الطلبا

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة. اهـ

– وأخرج أبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن ربّكم حييّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صِفْرًا [1] خائبتين ".

– وفي رواية:" إن ربّكم حييّ كريم، يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيرُدَّهما صِفْرًا ".

(صحيح الجامع: 2070)

فعليك أخي الكريم بالإكثار من الدعاء وسؤال الشفاء والإلحاح على الله في ذلك، وكن على يقين بالإجابة، فإنّ هذا أحرى للقبول، **كما قال ﷺ:" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ ". (رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع: 245)**

وعليك بالمداومة على الدعاء مهما تأخرت الإجابة، فليس للعبد ملجأ ولا مفرّ إلا إلى مولاه ﷻ.

قال السري السقطي–رحمه الله–:" كن مثل الصبي إذا اشتهي على أبويه شهوة (حاجة) فلم يمكناه قعد يبكي لهما، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربّك ولم يعطك فاقعد فابك له ". **(شعب الإيمان للبيهقي: 246/3)**

وقال أبو الدرداء ﷺ:" من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له". (المصدر السابق)

وقال الثعالبي المفسِّر:

أصاب له في دعوة الله مخرجا وربّ فتى سُدّت عليه وجوهه

عليّ فما ينفكّ أن يتفرّجا وإني لأدعو الله والأمر ضيّق

(طبقات السبكي: 58/9)

1– والصِفر: الفارغ.

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في الجواب الكافي ص: 19مبينًا آداب الدعاء:

وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستّة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر، وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب وذلًا له وتضرعًا ورقّة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألحّ عليه في المسألة، وتملّقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا، ولاسيما إذا صادف الأدعية التي أخبر النبي أنها مظنّة الإجابة، أو أنها متضمّنة للاسم الأعظم. اهـ

فهذه جملة من آداب الدعاء ذكرها ابن القيم والتي بها لا يرد الدعاء إن شاء الله فاحرص على تحقيقها.

أيها المريض..... احرص على هذا الدعاء فإن فيه خيرٌ كثير

﴿ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87) فإنها دعوة نبي الله يونس عليه السلام

قال رسول الله ﷺ:" لا إلهَ إلَّا أنت سبحانك إنِّي كنتُ من الظَّالمين: أيُّما مسلمٍ دعا بها في مرضِه أربعين مرَّةً فمات في مرضِه ذلك أُعطِي أجرَ شهيدٍ، وإن برأ برأ وقد غُفِر له جميعُ ذنوبِه ". (رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث سعد بن أبي وقاص)

وأخرج الترمذي وأحمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" دعوةُ ذي النُّونِ[1] إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمينَ فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجاب اللهُ له ". (صحيح الجامع: 3383)

1– و(النون) يعني: الحوت. و(ذو النون) يونس بن مَتَّى –عليه السلام– (تفسير ابن كثير: 5/ 360)

وقد قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)87(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء:87 . 88)

قال القرطبي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: وفي الخبر في هذه الآية شرط الله لمن دعاه أن يجيبه كما أجابه (أي أجاب يونس) وينجيه كما أنجاه، **وهو قوله:** ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء:88). اهـ. **(الجامع لأحكام القرآن:334/11)**

وقال ابن كثير–رحمه الله–: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا، ولاسيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الأنبياء.

(تفسير ابن كثير: 336/5)

ولا تنس أخي المريض أن تدعو الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُأل به أعطى.

– فقد أخرج أبو داود والترمذي عن بريدة –رضي الله عنهما–: " أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو، وهو يقول: "اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطي ". (صححه الألباني في سنن أبي داود)

– أخرج أبو داود والنسائي عن أنس ﷺ قال:" كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنّان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيّوم، إني أسألك... "، فقال النبي ﷺ:" والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى ". (صححه الألباني في صحيح أبي داود)

دعـاء:

عن أبي غسَّانَ –رحمه الله– قال:" حُممتُ بنيسابور فأطبقت عليّ الحمى، فدعوت بهذا الدعاء: اللهم كلما أنعمتَ عليّ نعمة قل عندها شكري، وكلما ابتليتني ببلية قل عندها صبري، فيا مَنْ قل شكري عند نعمته فلم يخذلني، ويا من قل عند بلائه صبري فلم يعاقبني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، اكشف ضري، قال: فذهب عني ".اللَّهُمَّ إِنّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدين والدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

الأدب الثامن والعشرون: الأن يأخذ بأسباب الصبر على المرض ومنها:

أ- العلم بأن المرض مقدّر من عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: **51**)

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: 22)

قال ابن جرير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** بجدوبها وقحطوها، وذهاب زرعها وفسادها **﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾** بالأوصاب والأوجاع والأسقام **﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾** يعني: إلا في أمّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ **﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾** يقول: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني من قبل أن نخلقها. اهـ. (**تفسير ابن جرير:27/ 233**)

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن:**11**)

ب- أن يعلم المريض أن مرضه قد يكون أعظم من هذا فليحمله هذا على الحمد والرضا:

وقال الغزالي-رحمه الله-:"كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها، إذ مقدورات الله لا تتناهى، فلو ضعّفها الله وزادها ماذا كان يردّه ويحجزه، فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا.... فإذن ما من إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حقّ التأمل في سوء أدبه ظاهرًا وباطنًا في حقّ مولاه؛ لكان يرى أنه يستحقّ أكثر مما أُصيب به عاجلًا وآجلًا، ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر، ومن استحقّ عليك أن يقطع يديك، فترك إحداهما فهو مستحق للشكر. (**الإحياء:4/ 12**)

وعن عبد العزيز بن أبي روّاد-رحمه الله- قال: رأيت في يد محمد بن واسع - رحمه الله - قرحةً، قال: فكأنه رأى ما شقّ عليّ منها، فقال لي: تدري ماذا لله عليّ في هذه القرحة من نعمة؟ فأسكت، قال: إذ لم يجعلها على حَدَقتي (أي: عيني) ولا على طرف لساني، ولا على طرف ذكري. فهانت عليّ قرحته. (**الشكر لابن أبي الدنيا ص 140**)

جـ – أن يعلم المريض أن هذا البلاء (المرض) ما نزل إلا بذنب وقع فيه ولم يتب منه:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: 30)

وأخرج الطبراني في الصغير وأبو نعيم في أخبار أصبهان عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا اخْتُلِجَ[1] عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ ".– وفي رواية:" وما يعفو الله عنه أكثر ". (صَحِيح الْجَامِع: 5521) (الصحيحة: 2215)

ورُي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال:" ما نزل بلاءٌ إلا بذنب ولا رُفع إلا بتوبة ".

فما زالت عن العبد نعمة، ولا حلت به نقمة، وتحول الله له من حال العافية إلى حال البلاء إلا بكسبه وما صنعت يداه.

أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن ابن عمر–رضي الله عنهما – قال:" أقبل علينا ﷺ رسول الله فقال: يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تُدْرِكُهْن: لم تظهر الفاحشةُ في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونةِ وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهُم بكتاب الله ويتخيروا ما أنزل الله إلا جعل اللهُ بأسهم بينهم ".

وقال زيادُ بن الربيع–رحمه الله–:" قلت لأُبِيّ بن كعب آيةٌ في كتاب الله قد أخذتني: قال: ما هي؟ قلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: 123) قال: ما كنتُ أراك إلا أفقهُ مما أرى، إنَّ المؤمن لا تصيبه عَثرةُ قدم، ولا اختلاج عِرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر ".

وعن الحسن–رحمه الله–:" أن عمران بن حصين ﷺ ابتلى في جسده فقال: ما أراه إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر وتلا: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: 30)

وهكذا يعود العبد باللوم على نفسه وينزه ربه عن الظلم، فيحسن الظن بربه، راضيًا بقضائه وقدره.

1– اختُلِج: أي انتُزِعَ، أو اقتُطِع

د- أن يذكر المريض ابتلاء من كان من أهل الفضل والصلاح ويتسلى بسيرتهم العطرة، وصبرهم على المرض وكيف كانت عاقبتهم:

فها هو أيوب عليه السلام الذي قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:83)

فلقد لبث هذا النبي الكريم في المرض ثمانية عشر عامًا، حتى رفضه القريب والبعيد اللهم إلا زوجته واثنين من أبناء عمومته، فصبر واحتسب، فشفاه الله تعالى وأثنى عليه وأعطاه من خير الدنيا.

وقال الحافظ: أصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه، وابن حبان، والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل، عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه:" أن أيوب ابتلى، فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبًا عظيمًا، وإلا لَكُشِفَ عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، يعني فحزن، ودعا الله حينئذ، فخرج لحاجته، وأمسكت امرأته بيده، فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك وضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها، فرجع صحيحًا، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو. وكان له أَنْدَرَان: أحدهما للقمح والآخر للشعير، فبعث الله سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض. (فتح الباري:421/6)

فانظر لهذا الفضل الكبير الذي نالهُ هذا النبي الكريم لما صبر على المرض، بل نال أفضل من ذلك، أن أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص: 44)

وهكذا كشف الله تعالى عنه البلاء بعد سنوات طويلة من الصبر، بل وخلَّد الله تعالى ذكره في كتابه الكريم. فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص:41-44)

فيا له من مدح أن يقول الله العظيم الجليل عن عبدٍ من عباده: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وهكذا ينبغي أن تكون أيها المريض عندما يحل بساحتك البلاء أو الأمراض والأسقام أن يقال عنكَ: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ ويقال عنك أيضًا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾.

هـ – ومن أسباب الصبر على المرض: معرفة فضل وفوائد المرض، ومنها:

أولًا: تكفير للسيئات:

والمراد بتكفير الذنب: ستره أو محو أثره المترتب عليه من استحقاق العقوبة.

1– أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ما يصيب المؤمن من نصب[1]، ولا وصب[2]، ولا هَمٍّ[3] ولا حُزْنٍ[4]، ولا أَذًى ولا غَمٍّ[5] حتى الشوكَةَ يُشاكُّها إلا كفّر اللهُ من خطاياه ".

وفي صحيح مسلم بلفظ:" ما يصيب المؤمنَ من وصبٍ، ولا نصبٍ، ولا سَقَمٍ، ولا حُزْنٍ حتى الهمِّ يهَمُّهُ إلا كفر به من سيئاته ".

2– وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى؛ مَرَضٌ فَما سِواهُ، إلَّا حَطَّ اللَّهُ له سَيِّئاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها ".

3– وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما من شيء يُصيبُ المؤمنَ في جسده يؤذيهِ، إلا كفر الله عنه به من سيئاتهِ ". (صحيح الجامع: 5724)

4– وأخرج البخاري في الأدب المفرد وأصله عند النسائي من حديث عبد الله بن الجراح ﷺ عن النبي ﷺ قال:" من ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة ".

5– وأخرج أبو داود بسند جيد عن أم العلاء –رضي الله عنها– قالت:" عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال:" يا أم العلاء[1]! أبشري، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه، كما تُذهب

---

1 . نصب: تعب. (النهاية:5/62).

2. وَصَب: وجع أو مرض، وقيل: هو الوجع اللازم، ومنه قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ} (الصافات:9) أي: لازم ثابت (ترتيب القاموس:4/618).

3 . الهم: يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب.

4. الحزن: على مكروه ماض من فوت محبوب أو حصول مكروه إذا تذكره أحدث له حزنًا.

5 . الغم: يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم. (شفاء العليل ص 573).

النارُ خبث الذهب والفضة ". (صحيح الجامع: 7851) (الصحيحة:714) (صحيح الترغيب والترهيب: 3427)

وعند الطبري بلفظ:" أبشري يا أمَّ العلاء فإن مرضَ المسلم يُذهبُ خطاياه كما تذهبُ النارُ خبثَ الحديد".

6- وعند البخاري في" الأدب المفرد" والطبراني في" الأوسط" وابن حبان وابن أبي الدنيا في" كتاب المرض والكفارات" عن عائشة-رضي الله عنها-عن النبي ﷺ قال:" إذا اشتكى المؤمنُ أخْلَصَهُ[الله] من الذنوب كما يُخلصُ الكيرُ خبثَ الحديد ". (صحيح الجامع:344) (الصحيحة:1257)

7- وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا ابتلى اللهُ العبدَ المسلم ببلاءٍ في جسده، قال اللهُ ﷻ [للمَلكِ]: اكتبْ له صالح عمله، فإن شفاه غَسَّلَهُ وطهَّره، وإن قبضَهُ غفر له ورحمه ". (صحيح الجامع:258)

8- وأخرج الحاكم بسند صحيح عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته: يا ملائكتي أنا قيدتُ عبدي بقيد من قيودي، فإن أقبضه أغفر له، وإن أعافيه فحينئذٍ يقعدُ ولا ذنب له ". (رواه كذلك البغوي والطبراني في الكبرى)

9- وأخرج الإمام أحمد الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة ". (صحيح الجامع:5815) (الصحيحة:2280)

وعند البخاري في الأدب المفرد بلفظ: "لا يزالُ البلاءُ بالمؤمن أو المؤمنة في جسدِهِ، ومالِهِ، وولدِهِ، حتى يلقى اللهَ ﷻ وما عليه من خطيئةٍ ".

10- وعند الترمذي أيضًا من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة ".

يقول ابن مِجْلزٍ-رحمه الله-:" إن الله يبتلي العبد بالبلاء حتى ما يبقى عليه ذنب ".

---

1. أم العلاء . رضي الله عنها .: هي عَمَّة حَكِيم بن حِزَامٍ وكانت من المُبايعات.

11- وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أُمامةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ما من عبدٍ يَصرعُ صرعةً من مرضٍ، إلا بعثه الله منها طاهرًا ". (صحيح الجامع: 5743)

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير: 487/5، 488": ما من عبد يُصرع من مرض إلا بعثه الله منها طاهرًا؛ لأن المرض تمحيص للذنوب، والمؤمن ملوثٌ بالشهوات، متوسخ بالخطيئات، فإذا أسقمه الله طهّره وصفّاه، كالفضة تلقي في كيرها فينفخه يزول خبثها ويصفو دنسها فتصلح للضرب، وظاهر الحديث الشمول لجميع الذنوب لكن خصه الجمهور بالصغائر.

وقال ابن حجر-رحمه الله-: ويحتمل أن معنى الأحاديث المؤذنة بالتعميم أن ذلك صالح لتكفير الذنوب فيكفر به ما شاء من الذنوب، فما يكون كثرة التكفير وقلته باعتبار شدة المرض وخفته، ثم المراد بتكفير الذنوب ستره أو محو أثره المترتب عليه من استحقاق العقوبة.

قال ابن عبد البر-رحمه الله- كما في التمهيد: 26/23 ": الذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض والأسقام وهذا أمر مجمع عليه. اهـ.

فأبشر أيها المريض واحتسب كل لحظة تمر عليك وأنت مريض، فهذا تطهير من الذنوب

12- وأخرج الترمذي والنسائي وأحمد وابن أبي الدنيا في كتاب المريض والكفارات بسند حسن عن أمِّ سلمة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما ابتلى الله عبدًا ببلاءٍ وهو على طريقةٍ يَكْرَهُهَا إلا جعل الله ذلك البلاء كفارةً وطُهُورًا مَا لَمْ يُنْزِلْ ما أصَابَهُ من البلاء بغير اللهِ أو يَدْعُو غَيْرِ اللهِ في كَشْفِهِ ". (الصحيحة: 2500)

13- وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن أبي بُرْدَةَ ﷺ قال:" كنتُ عند معاوية، وطبيبٌ يُعَالِجُ قَرْحةً في ظَهْره وهو يَتضرر، فقلتُ له: لو بعضُ شُبَّاننا فَعَلَ هذا لَعِبْنا ذَلِكَ عليه فقال: ما يَسُرُّني أنِّي لا أجدُهُ، سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما من مُسْلمٍ يُصِيبُهُ أذًى في جَسَدِهِ إلا كانَ كفارةً لخطَايَاه ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3416)

14- وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم بسند صحيح عن أبي هريرةﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" وَصَبُ المُومن كفارةٌ لخَطَايَاهُ ". (صحيح الجامع: 7109) (الصحيحة: 2410)

15- وأخرج الحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الله يبتلي عبَدهُ المؤمن بالسَّقَمِ، حتى يكفّرَ عنه كُلَّ ذَنْب ". (صحيح الجامع: 1870) (الصحيحة:3393)

- جاء في كتاب الزهد لهناد ص 413 عن قيس بن عبادة -رحمه الله- أنه قال: ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا.

- وجاء في كتاب" المرض والكفارات لابن أبي الدنيا ص 61 رقم 56" عن حبيب الهراني قال:" عادني الحسن في مرضي، فقال لي: يا حبيب إنا إن لم نؤجر إلا فيما نحب قَلَّ أجرُنا، وإن الله كريم يبتلي العبد وهو كاره. ويعطيه عليه الأجر العظيم ".

- وفي المصدر السابق أيضًا بسند صحيح عن هلال بن يساف قال: كنا قعودًا عند عمار بن ياسرﷺ فذكروا الأوجاع، فقال أعرابي: ما اشتكيت قط. فقال عمارﷺ: ما أنت منا-أو لست منا-إن المسلم يبتلى ببلاء فتحط عنه ذنوبه كما يحط الورق من الشجر، وإن الكافر-أو قال: الفاجر-يبتلى ببلية فمثله مثل البعير، إن أطلق لم يدر لم أطلق، وإن عقل لم يدر لم عقل.

- ويقول أبو بكر الصديق ﷺ:" يكفر الله عن المسلم حتى النكبة وانقطاع شسعه، والبضاعة يضعها في كم قميصه فيفقدها فيجدها في ضبنه[1] ".

فسبحان الملك!! كل شيء من الأوجاع والهموم والأحزان يؤجر عليها المسلم، حتى مجرد الفزع على فقدان المتاع حتى يجده.

ثانيًا: ومن فوائد المرض: شهود الجزاء:

- فقد أخرج ابن أبي الدنيا والترمذي من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ-رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ ". (صحيح الجامع: 8177) (الصَّحِيحَة: 2206).

- وفي رواية:" ليَوَدَّنَّ أهلُ العافية يومَ القيامَةَ، أن جُلُودَهُم قرضت بالمقاريض، مما يرون من ثواب أهل البلاء ". (صحيح الجامع: 5484)

1- ضبنه: أي تحت إبطه.

ويروى أن بعض العابدات[1] عثرت فانقطع أصبعها فضحكت فقيل لها: أتضحكين وقد انقطع أصبعك!!؟

قالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أَنْستني مرارة قطعها.

فكان فرحهم بالبلاء أعظم من فرحهم بالعطاء.

جزاء الصداع:

الصداع يكفر الله به السيئات، ويكتب به الحسنات، ويرفع به الدرجات:

- فقد أخرج الطبراني في الأوسط والحاكم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما ضرب على مؤمن عرق قط إلا حط الله به عنه خطيئته، وكتب له حسنة، ورفع له درجة (قال ابن حجر في الفتح:105/3: سنده جيد)

-وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات بسند صحيح عن أبي سعيد الخُدِريّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" صُدَاعُ المؤمِنِ أو شوَكَةٌ يُشَاكُهَا، أو شيءٌ يُؤْذِيه، يرفعه الله به يوم القيامة درجة، ويكفرُ عنه بها ذنوبه ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3434) (قال الدمياطي في المتجر الرابح ص 625 إسناده جيد)

جزاء من فقد بصره:

1- ومن فقد بصره ثم صبر واحتسب، فلا حساب عليه.

فقد أخرج البزار من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره، ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى الله لقي الله عز وجل ولا حساب عليه ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3451)

2- ومن فقد بصره ثم صبر واحتسب، أدخله الله الجنة:

فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بِحَبِيبَتَيْه[2] فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ- يريد عينيه- ".

1- قيل هي امرأة فتح الموصلي.

2. يريد بحبيبتيه: عينيه.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في" الفتح:120/10": قوله:" إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه"، المراد بالحبيبتين: المحبوبتان. لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه، لما حصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيُسرُّ به أو شر فيجتنبه.

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ:" من أذهبْتُ حبيبتيه، فصبَرَ واحتسب، لم أَرْضَ له ثوابًا دون الجنة ". (صحيح الجامع: 8140)

وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله يقول: إذا أخذت كريمَتَيَ عبدي في الدنيا، لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة ".

يا له من جزاء عظيم وأجر كبير ولا يكون إلا لمن صبر على هذا البلاء الكبير والمصيبة العظيمة، فيا من فقدت نعمة البصر احتسب الأجر عند الله، واحمد الله أنه أخذ منك نعمة البصر، وأعطاك بدلًا منها جنة عرضها السماوات والأرض، واحمده كذلك على أنه لم يأخذ منك نعمة البصيرة.

أما عن فضل وثواب من أُصيب بالحمى:

– فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ:أن رسول الله ﷺ دخل على أمّ السائب أو أم المُسيّبِ، فقال:

" مَالَك تُزَفْزِفِينَ[1]؟ قالت: الحُمَّى لا بارك الله فيها، فقال: لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنها تذهبُ خطايا بني آدم كما يُذْهبُ الكيرُ[2] خبثَ الحديد ".

– وَعَند ابن ماجه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ذُكِرَتِ الْحُمَّى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَبَّهَا رَجُلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا تَسُبَّهَا، فَإِنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ".

ولذلك كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض ولا سيما إذا كان محمومًا فإنه يقول له:" **لا بأس طهور إن شاء الله ".**

– وأخرج البخاري من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–:" أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يعوده قال: "لا بأس طهور إن شاء الله". قال: قلت طهور!؟ كلا. بل هي حمى تفور أو تثور على شيخ كبير تُزيرُه القبور فقال النبي ﷺ: نعم إذًا ".

---

1. تُزَفْزِفِينَ: الحركة بسرعة، والمراد ما يحصل للمحموم من الرعدة (يعني ترتعدين)
2. الكِير: جلد غليظ ينفخ به النار. (لسان العرب :157/5)

- وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن جابر ﷺ قال:" استأذنتِ الحمى على رسول الله ﷺ فقال:" من هذه؟ قالت: أمُّ مِلْدَم[1]. فأمر بها إلى أهل قُباء فَلَقوا منها ما يَعْلَمُ الله، فأتوهُ فَشَكَوا ذلك إليه، فقال:" ما شئتم، إن شئتم أن أدعو الله لكم فيكشفها عنكم، وإن شئتم أن تكون لكم طهورًا. قالوا: يا رسول الله! أَوَ تَفْعَلُ؟ قال: نعم. قالوا: فَدَعْهَا ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3442)

- وعند الطبراني من حديث سلمان ﷺ بلفظ:" فَشَكُوا الحُمَّى إلى رسول الله ﷺ فقال:" ما شئتم، إن شئتم دعوتُ الله فدفعها عنكم، وإن شئتم تركتموها وأسقطت عنكم بقية ذنوبكم؟، قالوا: فدعها يا رسول الله ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3443)

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال:" دخلتُ على النبي ﷺ فَمَسَسْتُهُ فقلتُ: يا رسول الله إنك توعكُ [2] وعكًا شديدًا فقال: أجل إني أوعَكُ كما يُوعَكُ رجلانِ منكم، قلت: ذلك بأن لكم أجرين؟ قال: نعم ما من مسلم يُصيبُه أذى من مرضٍ فما سواهُ إلا حط الله به سيئاتهِ كما تحط الشجرة ورقها ".

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن شَهْرِ بن حَوْشَب عن أبي ريحانَة قال: قال رسول الله ﷺ:" الحُمَّى كِيرٌ من جهنّمَ، وهي نصيبُ المؤمن من النارُ ". (صحيح الجامع:3190) (صحيح الترغيب والترهيب: 3445)

وعند البزّار من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال:" الحُمَّى حظٌّ كُلِّ مُؤْمنٍ من النار". (صحيح الجامع:3187) (الصحيحة:1821)

وعند الإمام أحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الْحُمَّى كِيرٌ من جَهَنّمَ، فما أصَابَ المُؤمن منها كان حَظهُ من النار ". (صحيح الجامع:3188) (صحيح الترغيب والترهيب: 3446)

فلهذا ولغيره كان أبو هريرة ﷺ يتمنى أن لو أصابه مرض تكون الحُمَّى.

1- أمُّ مِلْدَم: هي كنية الحمى.

2. الوعك: الحمى.

فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة ﷺ قال:" ما من مرض يصيبني أحبُّ إليّ من الحمى، لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله يعطي كل عضو قسطه من الأجر".(وهذا الخبر صححه ابن حجر في" الفتح:10/ 110"؛ ثم قال: ومثل هذا لا يقوله أبو هريرة ﷺ برأيه).

وفي رواية عند ابن أبي شيبة:" ما من وجع يصيبني أحب إليّ من الحمى لأنها تدخل في كل مفصل من ابن آدم، وإن الله ليعطي كل مفصل قسطًا من الأجر".

فيا له من تطهير

فكيف لا يتمنى ذلك وهو الذي سمع بأذنه النبي ﷺ عندما كان معه يعود مريضًا من وعك كان به فقال له النبي ﷺ:" أبشر إن الله تعالى يقول:" هي ناري أسلِّطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار يوم القيامة ". (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع: 32 والصحيحة: 557)

وجاء عند ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن البصري قال:"كانوا يرجون في حُمَّى ليلةٍ كفارة لما مضى من الذنوب ".

وفي رواية مرفوعًا: "إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياهُ كلها بحُمَّى ليلةٍ ".

(رواه ابن أبي الدنيا من مراسيل الحسن البصري عن النبي ﷺ).

والحديث ضعّفه العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء، لكن معناه صحيح لحديث أم السائب، وقال ابن المبارك: هذا من جيد الحديث. والله أعلم

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلًا من المسلمين قال: يا رسول الله! أرأيتَ هذه الأمراض التي تُصيبُنا ما لنا بها؟ قال النبي ﷺ: كفاراتٌ، قال: أُبيُّ بنُ كعب: يا رسول الله! وإن قَلَّتْ؟ قال: وإنْ شوكةً فما فوقها، فدعا أُبيٌّ على نفسِهِ ألا يُفَارقَهُ الوعَكُ حتى يموتَ، وألا يشغَلَهُ من حج، ولا عُمْرَةٍ، ولا جهادٍ في سبيل الله، وصلاةٍ مكتوبةٍ في جماعةٍ، فما مس إنسانٌ جَسَدَهُ إلا وَجَدَ حَرَّها حتى مات ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3433)

وعند الطبراني في الكبير والأوسط عن محمد بن معاذ بن أُبَيّ بن كَعْبٍ عن أبيه عن جده ﷺ أنه قال: يا رسول الله! ما جَزَاءُ الحُمَّى؟ قال:" تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج[1]عليه قَدَمٌ أو ضرب عليه عرقٌ "، قال أُبيّ: اللهم إني أسألك حُمَّى لا تمنعني خروجًا في سبيلك، ولا خروجًا إلى بيتك، ولا مسجد نبيك، قال: فلم يُمَسَّ أبيٌّ قطُّ إلا وبه حُمَّى ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3444)

تنبيه:

ودعاء أبيٌّ ﷺ على نفسه اجتهاد منه، والمأمور به شرعًا أن لا يتعرّض المؤمن للبلاء، وأن يسأل الله العافية، فإن المرء لا يدري فلعلّه لا يقوم بواجب الصبر عند البلاء، وقد ورد الأمر بسؤال الله العافية في عدّة أحاديث منها:-

ما أخرجه النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن أبي بكرﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يُعط بعد اليقينِ خيرًا من العافية ". (صحيح الجامع: 3632)

وكان النبي ﷺ يسأل ربّه العفو والعافية كل صباحٍ ومساء؛ كما جاء في حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- عند أبي داود وابن ماجه بسند صحيح [2]. وهذا يبين أنه لا ينبغي للمؤمن أن يتمنّى البلاء أو يسأله، فإذا ابتُلي صبر.

ولهذا قال مطرف بن عبد الله -رحمه الله-:" لأن أعافي فأشكر، أحبّ إليّ من أبتُّلى فأصبر".

(الزهد لهناد ص 254، الشكر لابن أبي الدنيا ص77)

---

1. اختلج: أي تحرّك واضطرب.

2- الحديث: عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنَّه قال: لم يكن رسولُ الله ﷺ يدع هؤلاء الدَّعوات حين يُمسي وحين يُصبح: اللهم إني أسألك العافيةَ في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودُنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وأمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي. (صحيح الترغيب والترهيب:659)

ثالثًا: ومن فوائد المرض: رفع الدرجـــات:

– أخرج الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده ﷺ وكانت له صحبةٌ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن العبد إذا سبقتْ له من الله منزلةٌ فلم يَبْلُغْها بعمله، ابتلاهُ الله في جسده، أو ماله، أو في ولدِهِ، ثم صَبَرَ على ذلك، حتى يُبْلّغَهُ المنزلَةَ التي سبقتْ لهُ من الله تعالى ". (صحيح أبي داود:2649)

– وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله، فما يَبْلُغها بعملٍ، فلا يزالُ اللهُ يبتليه بما يكره حتى يبلِّغهُ إياها ". (صحيح الجامع:1625) (الصحيحة:2599)

– وفي رواية:" إن العبد ليكون له عند الله المنزلة الرفيعة ما ينالها بعمل فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها..... الحديث".

– وأخرج الإمام مسلم عن عائشة–رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" لا تُصيب المؤمنَ شوكةٌ فما فوقها إلا نَقَص الله بها من خطيئته ".

– وفي رواية:" إلا رفعه الله بها درجةً وحط عنه بها خطيئتهُ ". (رواه مسلم)

– وفي رواية:" ما يصيب المؤمنَ من شوكةٍ فما فوقها إلا رفعهُ بها درجةً أو حطَّ عنه بها خطيئة". (رواه مسلم)

– وأخرج الإمام مسلم عن الأسود بن يزيد قال: دَخَلَ شَبَابٌ مِن قُرَيْشٍ علَى عَائِشَةَ وَهي بمِنًى، وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقالَتْ: ما يُضْحِكُكُمْ؟ قالوا: فُلَانٌ خَرَّ علَى طُنُبِ فُسْطَاطٍ، فَكَادَتْ عُنُقُهُ، أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ، فَقالَتْ: لا تَضْحَكُوا، فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، قالَ: ما مِن مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَما فَوْقَهَا إلَّا كُتِبَتْ له بهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عنْه بهَا خَطِيئَةٌ ".

– وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن عائشة –رضي الله عنها–:" أن رسول الله ﷺ طرَقَهُ وجعٌ، فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه، فقالت له عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوَجَدْتَ[1] عليه، فقال النبي ﷺ إن الصالحين يُشدّد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمنًا نكبةٌ من شوكةٍ

1. وَجَدْتَ: حزنت.

فما فوق ذلك إلا حطت عنه بها خطيئة، ورُفع له بها درجة ". (صحيح الجامع: 1660) (الصحيحة:1610)

رابعًا: ومن فوائد المرض: الفوز بالجنة:

فالجنة لا تُنال إلا بما تكرهه النفس.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" حُجبت النار بالشهوات، وحُجبت الجنة بالمكاره ". – وفي رواية:" حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات ".

والمكاره هي كل ما تكره النفس ويشقّ عليها، وهذا يتناول مجاهدة النفس في القيام بالطاعات واجتناب المعاصي، والصبر على المصائب، والتسليم لأمر الله فيها". **(فتح الباري:11/ 320)**

أخرج البخاري ومسلم عن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس–رضي الله عنهما–:" ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، فقال: هذه المرأة السوداء. أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرعُ[1] وإني أتكشَّف فادع الله تعالى لي. فقال النبي ﷺ: إن شئت صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله تعالى أن يعافيك ". فقالت: أصبر، ثم قالت: إني أتكشَّف فادع الله تعالى لي ألا أتكشف، فدعا لها ".

فهذه المرأة صابرة عاقلة، لما بزغ لها فجر الجزاء الباقي هان عليها ظلام البلاء الفاني، فلا عيش إلا في جنات عدن ولا مستراح إلا في ظل طوبى، فصبرًا على اللأواء والموعد الجنة.

– وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما مِنْ عبدٍ يُصْرَعُ صرْعَةً مِنْ مَرَضٍ، إلَّا بعَثَهُ اللهُ منْها طاهِرًا ". (صحيح الجامع:5743) (الصحيحة:2277)

قال الحافظ –رحمه الله– في" الفتح:10/ 119":" وانحباس الريح قد يكون سببًا للصرع، وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعًا غير تام وسببه: ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصبًا بل يسقط، وقد يكون الصرع من الجن ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان

1– أُصْرع: والصرع هو الطرح بالأرض، والصرع علة معروفة.

بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذية به. **وقد أخرج البزار وابن حبان من حديث أبي هريرة شبيهًا بقصتها ولفظه:**

" جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله. فقال: إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت صبرت ولا حساب عليك؟ قالت: بل أصبر ولا حساب عليّ ". وفي الحديث فضل من يُصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء، والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو قوة توجهه، وقوة قلبه بالتقوى والتوكل. والله أعلم. اهـ.

الأدب الأخير: معرفة قدر العافية:

أيها المريض.. ما ابتلاك الله بهذا المرض إلا لتعرف قدر نعمة العافية، فإذا مَنَّ الله عليك بالشفاء بعد المرض فاحمده واشكره على هذه المنّة العظيمة فهي أفضل ما يُعطاه العبد بعد اليقين

فقد أخرج الترمذي والنسائي بسند حسن عن أبي بكر ﷺ أنه قام على المنبر ثم بكى فقال: " قام فينا رسول الله ﷺ عَامَ أوَّلَ على المنبر ثم بكى، فقال: سلوا الله العفو والعافية فإن أحدًا لم يُعْطَ بعد اليقين خيرًا من العافية ". (صحيح الجامع:3632)

- **واعلم أن الصحة من أجلِّ النعم وأعظمها.**

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:" نعمتان مغبون[1] فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ ".

فأخبر في هذا الحديث أن هاتين النعمتين العظيمتين قد غُبِن فيهما كثير من الناس.

قال ابن الجوزي –رحمه الله–:" قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرِّغًا، لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا. فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استغل فراغه وصحته في

---

1. والغبن: هو الشراء بأضعاف الثمن أو البيع بدون ثمن المثل (دليل الفالحين: 307/1)

طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم، **كما قيل:**

يا بن آدم لا تغـررك عـافيـة عليك طاغية فالعمر محـدود

وما أنت إلا كزرع بكـل شيء مـن الآفـــات مقصـــــود

فإن سلمت من الآفات أجمعها فأنت عند كمال الأمر محصود

وقيل:

يسرّ الفتى طول السلامة والبقا فكيف ترى طول السلامة يفعل

يردّ الفتى بعد اعتـدال وصحة ينـوء إذا رام القيـام ويحمـل

(فتح الباري: 230/11)

وقال وهب بن منبّه –رحمه الله–: مكتوب في حكمة آل داود: **العافية المُلْك الخفيّ (الشكر لابن أبي الدنيا ص 127)**

ولذلك يستحب للعبد أن يسأل الله تعالى دائمًا المعافاة في الدنيا والآخرة

فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من دعوة يدعو بها العبدُ أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة ". (صحيح الجامع: 5703)

أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أنس بن مالك ﷺ:" أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الدعاء أفضل؟ قال: سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، ثم آتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله، أي الدعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال له مثل ذلك، قال: فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأُعْطَيتها في الآخرة فقد أفلحت ".

ونظرًا لكون الصحة من أجلِّ النعم، فهي أول ما يُسأل عنه العبد من النعيم يوم القيامة

فقد أخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة – يعني العبد – من النعيم أن يُقال له: ألم نُصحّ لك جسمك، ونُرْوِكَ من الماء البارد؟!" (الصحيحة: 539)

وقد أرشد النبي ﷺ إلى اغتنام وقت الصحة بالطاعة وما يقرّب إلى الله سبحانه

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:" اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ". (رواه الحاكم وصححه الألباني في تحقيقه لكتاب اقتضاء العلم والعمل للخطيب ص10)

واعلم أن أعظم ما يقوم به العبد تجاه نعمة الصحة وسائر النعم أن يكثر من حمد الله عليها.

فقد أخرج ابن ماجه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطى، أفضل مما أخذ ". (صحيح الجامع: 5563)

وفي رواية: "ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد، فقال: الحمد لله رب العالمين، إلا كان قد أعطى، خيرًا مما أخذ ". (الضياء المقدسي في المختارة (219)

– وقوله:" **إلا كان الذي أعطي** " يعني الذي أدى العبد وفعل من الحمد والشكر.

– " **أفضل مما أخذ** " يعني من النعمة. والمعنى أن نعمة الله على العبد بتوفيقه للحمد والشكر أعظم من نعمته عليه بالصحة أو المال أو الولد أو غيرها من النعم، فإن حمد الله وشكره نعمة عظيمة ومنّة جسيمة، والله هو الذي وفّق العبد لها وامتنّ بها عليه،

كما قال محمود الورّاق –رحمه الله–:

إذا كان شكري نعمةً اللهِ نعمةٌ ... عليّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكرَ إلا بفضله ... وإن طالت الأيامُ واتصل العمرُ

إذا مسّ بالسرّاء عمّ سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلا لـه فيه منّـة ... تضيق بها الأوهام والبرّ والبحر

(الشكر لابن أبي الدنيا ص: 104)

وأخرج أبو داود والنسائي في اليوم والليلة عن عبد الله بن غنّام ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدّى شكر يَومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدّى شكر ليلته ". (إسناده ضعيف)

فعلى كل إنسان عافاه الله في بدنه أن يشكر الله على هذه النعمة التي بها يستطيع العبد أن يؤدي الطاعات لرب الأرض والسماوات

أخرج الترمذي بسنده أن أعرابيًا سأل رسول الله ﷺ فقال:" يا رسول الله! ما أسأل الله تعالى بعد الصلاة؟ قال: سَلْ الله العافية ".

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يا عباس! اسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة ".

فالعبد إذا عافاه الله في بدنه، وكان عنده قوت يومه، وكان آمنًا في أهله، فكأنما حيزت له الدنيا بما فيها.

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال:" من أصبح معافى في بدنه، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا ".

وفي لفظ آخر عند ابن ماجه:" من أصبح منكم آمنًا في سِرْبه، معافى في جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا "

اللهم طبِّب بفضلك أسقامنا، وأبرئ بعفوك أوجاعنا، فأنت طبيبُنا، وأنت حبيبُنا.

آمين.... آمين.... آمين

خاتمة

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

الفهرس

تمهيد..... 2
نبض الرسالة..... 3
مقدمة:..... 5
الأدب الأول: أن يرقي نفسه بما ثبت في السنة المباركة: 16
1- قراءة الفاتحة: 16
2- قراءة المعوذات (ثلاث مرات):..... 16
الأدب الثاني: المبادرة بكتابة الوصية: 18
الأدب الثالث: عدم الإضرار في الوصية: 19
الأدب الرابع: الإنابة (وهي الرجوع إلى الله – عز وجل– والإقبال عليه): 21
الأدب السادس:..... 23
الأدب السابع: أن يفضي بسرٍّ من أسراره إلى من يحب: 23
الأدب الثامن: لا يُحمِّل أهله وإخوانه وأحبابه مالا يطيقون: 24
الأدب التاسع: لا يكشف عورته من غير ضرورة: 25
الأدب العاشر: 25
الأدب الحادي عشر: الصبر على المرض، فإن ذلك عبودية الضراء:..... 27
ومن علامة الصبر والاحتساب عدم الشكوى:..... 29
الأدب الثاني عشر: عدم الجزع والتسخط وسب المرض:..... 30
الأدب الثالث عشر: الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى: 31
الأدب الرابع عشر: عدم الاستعانة بالكهان والعرافين والسحرة لرفع البلاء: 32
الأدب الخامس عشر: لا يطلب من أحد أن يرقيه:..... 35
الأدب السادس عشر: لا يدعو على نفسه بالمعاقبة في الدنيا:..... 36
الأدب السابع عشر: لا يتمنى الموت، أو يدعوَ به:..... 37
الأدب الثامن عشر: أن يحسن الظن بالله تعالى:..... 40

الأدب التاسع عشر: إياك واليأس والقنوط من رحمة الله:..... 44
الأدب العشرون: لا يشكو الله إلى خلقه، فيشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم:..... 46
الأدب الحادي والعشرون: لا يتحسر ويييأس على ما فاته من حظوظ الدنيا أثناء المرض: 49
الأدب الثاني والعشرون: على المريض التضرع إلى الله عز وجل:..... 51
الأدب الثالث العشرون: احرص على وقتك، واملأه بطاعة الله ولا تقطعه بالمعاصي: 52
الأدب الرابع والعشرون: عليك بقيام الليل بقدر استطاعتك:..... 54
الأدب الخامس والعشرون: عليك بالإكثار من الصدقة: 54
الأدب السابع والعشرون: أكثر من الدعـاء:..... 57
الأدب الثامن والعشرون: الأن يأخذ بأسباب الصبر على المرض ومنها:..... 65
أولًا: تكفير للسيئات: 68
ثانيًا: ومن فوائد المرض: شهود الجزاء:..... 71
جزاء الصداع:..... 72
جزاء من فقد بصره:..... 72
أما عن فضل وثواب من أُصيب بالحمى: 73
ثالثًا: ومن فوائد المرض: رفع الدرجـات: 77
رابعًا: ومن فوائد المرض: الفوز بالجنة:..... 78
الأدب الأخير: معرفة قدر العافية: 79
خاتمة..... 83
الفهرس 84